جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



خطر التشكيك
في المعلوم من الدين بالضرورة

"دراسة عقدية"

إعداد الدكتورة

نادرة حسن عبد الجواد محمود

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بنات المنصورة - مصر

خطر التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة "دراسة عقدية"

نادرة حسن عبد الجواد محمود
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: NaderMahmoud1838.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يعتبر المعلوم من الدين بالضرورة هو الأصول العقدية التي ينبني عليها الإسلام، وما من نبي من الأنبياء، إلا قرر تلك العقيدة بأجزائها الواردة في الكتاب والسنة.

ومن المؤكد أن تحديد المفاهيم، وتحرير المصطلحات تمثل وضع القواعد التي يدور فيها البحث من الناحية النظرية، ومن المهم أن يكون هذا الجانب النظري له إرتباط وثيق بالقواعد العلمية من ناحية، والحياة المعيشية من ناحية ثانية، بجانب السلوكيات العملية، وهو الفصل الأول.

ثم يجئ الفصل الثاني بعنوان التشكيك بين المشروع وغير المشروع، ويتمثل في جانب نظري متعلق بضبط القواعد العلمية، ثم إن التشكيك المشروع هو الذي يقصد به إثبات العقيدة الصحيحة، وإبطال العقيدة الفاسدة، وهو إتجاه الأنبياء والمرسلين، حتى سيدنا محمد (ﷺ)، ومشروعيته مردها إلي الضرورة العقلية، باعتبار أن معرفة الله تعالي ووحدانيته هما مما لا يمكن الخروج عنه.

أما التشكيك غير المشروع فالمراد به الطعن فيما جاء من عند الله (ﷻ) في كتابه وسنة رسوله (ﷺ)، وخطره علي العقيدة لا يمكن تجاوزه، ويقوم به أعداء الأنبياء والمرسلين، ويمارسه الحداثيون في وقتنا الحاضر، ويجب التخلص منه، والابتعاد عنه.

الفصل الثالث خطر التشكيك في الرسول (ﷺ)،وهو الجانب التطبيقــي علــي أساس أن كل دراسة نظرية لابد فيها من جانب تطبيقي حتى تــضح المــسألة، ويتوافق ذلك مع متطلبات المناهجية المعاصرة، ثم الخاتمة وقد جاءت مــشتملة علي أهم النتائج، وأبرز التوصيات المذكورة في متن البحث، وعلــي الله قــصد السبيل.

الكلمات المفتاحية: خطر – التــشكيك – المعلــوم – الــضرورة الــشرعية – الضرورة العقلية.

The Danger of Incredulity at the Indisputably Established Facts of Religion (Doctrinal Study)

Nadrah Hassan Abdelgawad Mahmoud

Theology and Philosophy Department – Faculty of Islamic and Arabic Studies in Mansoura – Al Azhar University – Egypt

Email: NaderMahmoud1838.el@azhar.edu.eg

Abstract:

Indisputably established facts of religion are the doctrinal fundamentals underlying Islam; and all prophets had stipulated and affirmed that doctrine with its relevant components respectively stipulated in the Book and Sunnah.

Conceptualization and editorial terminology are certainly the basis through which the research theoretically examines; and it is of a significant importance for the present research to be closely correlated to the scientific aspect on one hand, and the living aspect on the other, in addition to the practical behavior; such aspects making up the first chapter.

The second chapter titled *Permissible and Wrongful Incredulity* demonstrates a theoretical aspect about reviewing scientific rules; whereas permissible incredulity aims to prove true faith and revoke false faith; a matter had been embraced by prophets and messengers of Allah including prophet Muhammed PBUH, while the permissibility of that form of incredulity is based on the intellectual necessity, as knowing and recognizing Allah and respective monotheism are deemed undisputable.

In contrast, wrongful incredulity aims to challenge and discredit Allah’s teachings and provisions stipulated in His Book and the Sunnah of His messenger PBUH, while the threat it represents against faith is discernable, and it is embraced and done by the enemies of prophets and

messengers, and widely performed by modernists in modern day; and it should be eliminated and renounced.

The third chapter *Danger of Incredulity at the Messenger PBUH* is the applicable part since any theoretical study must have an applicable side to clarify the matter of study, and in compliance with the present day research methodology. Eventually, the epilogue highlighting the results of study in addition to the most prominent recommendations stated in the body of the research.

It is upon Allah to point out the path.

Keywords: Danger – Incredulity – Established – Religious Necessity – Intellectual Necessity>



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، دلت أثاره علي وجوده، وشهدت وحدانيته، وتقرر في البدهيات العقلية حكمه وقضاؤه وقدره، وأن كل شيء قائم به لا وجود له إلا بقدرته جل شأنه، قال تعالي: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، استقر في العقول الصحيحة والفطر السليمة أنه وحده المعلوم من الدين بالضرورة وجوده(٢)، وكل ما جاء في كتبه وعلي ألسنة رسله من هذا الباب فهو معلوم من الدين بالضرورة علي سبيل التبع، وجاءت نصوص الإسلام دالة عليه قال تعالي: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾(٣).

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، بعثه الله تعالي خاتما للأنبياء والمرسلين، بلغ الرسالة، وأدي الأمانة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمة، قال تعالي:﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾(٤).

---

(١) سورة القمر، الآيتان (٤٩-٥٠).

(٢) المقصود بالمعلوم من الدين بالضرورة هنا هو الضرورة العقلية والشرعية معا، لأن وجود الله تعالي معلوم علي الناحيتين وأمثالهما.

(٣) سورة المائدة، الآية (٣).

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلي آل بيته الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعد،،،

فإن قضايا العقيدة الإسلامية قد جاءت محفوظة أصولها في مصادر أصلية، هي القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية المطهرة، يدل عليه قوله تعالي: ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1]، ومحل الشاهد أن النور هو الرسول الكريم، والكتاب المبين هو القرآن الحكيم، فعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه»[2]، ولما كان هذا الدين متين، فإن كل عقائده سليمة، ولا يستطيع أن ينال منها أحد، أيا كانت وسيلته، أو أدواته وآلاته، ومن ثم جاء اختياري لموضوع هذا البحث وهو "خطر التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة دراسة عقدية" وسوف اعرض ما يلي:-

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

لما كان أمر هذا الدين بتلك المتانة فقد ظهر المسلمون بحفظهم عليه وتمسكهم به، وبرز المنكرون بشكوكهم وتشكيكاتهم وشبههم، وانفضح أمرهم في النيل منه، ومن ثم كانت رغبتي في بيان خطر إنكار المعلوم من الدين بالضرورة.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان (١٥-١٦).

(٢) الإمام/ مالك "موطأ مالك برواية يحيي الليثي "ج٢ كتاب (القدر)، باب [النهي عن القول بالقدر] ص٨٩٩، الحديث رقم(١٥٩٤)، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، ط إحياء التراث العربي، مصر.

(أ) الأسباب الداخلية: وأعني بها ما يدور في عقلي الواعي، وقلبي المستنير بنور الله كتاباً وحباً واعتقاداً، وسنة رسول الله إيماناً وتسليماً.

١- القيام علي خدمة العقيدة الإلهية في كامل أجزائها، إذ كيف يكون المرء صاحب عقيدة صحيحة ولا يتمسك بها، أو لا يدافع عنها، والمعلوم من الدين بالضرورة هو الذي ينبئ عنها والتشكيك في تلك العقيدة هو خروج عن الإسلام الدين الحنيف.

٢- الحرص علي الدفاع عن تلك العقيدة الإلهية في جميع أجزائها، وما يتعلق بها من دلائلها ومحدداتها.

٣- السعي المتواصل لإقامة المعلوم من الدين بالضرورة مقامه الذي يجب أن يكون له، حتى يستمر أمر العقيدة في القلوب والعقول علي ناحية صحيحة.

(ب) الأسباب الموضوعية: وأعني بها ما يتعلق بموضوع البحث نفسه، وتدور فيما يلي:-

١- أن إبراز خطر التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة حفاظا علي العقيدة الإلهية، فإذا لم يتعرف المرء المؤمن علي أخطار هذا التشكيك، فربما مارسه وهو لا يعلم به.

٢- أن المعلوم من الدين بالضرورة؛ قائم في نصوص محكمة، لا تقبل التأويل، وهي بذاتها تدافع عن نفسها، والمعنيون بالعقيدة الإسلامية يجب عليهم الإمساك بهذا الخيط؛ لأنه أمانة، وكلنا مستخلف عن الله ورسوله في التمسك به حتى لا نضل أو نشقي.

٣- أن عناصر الإلحاد في الوقت الحاضر تحاول الاستفادة من التقنية الحديثة، وبدل أن توجهها لتثبيت العقيدة، أراها تسعي لاستخدامها في اتساع مساحة الإلحاد، وتضيق مساحة الإيمان، والله غالب علي أمره.

٤- أن دفع هذا الخطر بجانب كونه من الواجبات الشرعية فهو أيضاً واجب معرفي حيث يبين ما يتعامل به الآخر نحو ديننا الحنيف ونبينا الخاتم (ﷺ).

ثانيا : منهجي في الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة علي المنهج المتكامل الذي يتيح للباحث الاستفادة من المناهج المختلفة، سواء أكانت وصفية، ام تحليلية، أم مقارنة، أم نقدية، أم غيرها.

ثالثا: مشكلات الدراسة:

البين أن هذه المشكلات متنوعة، منها:

١- كثرة الإلحاد والملحدين في وقتنا الحاضر، الذين يشككون في ثوابت الدين الإلهي، ويعملون علي تأويل نصوصها بما لا يليق.

٢- كثرة ما ينشرونه من مؤلفات يستخدمون فيها الطرق الجدلية، ويظهرون في وسائل الإعلام علي أنهم هداة القافلة الحائرة في بني الإنسان، بينما هم أصحاب اللغو والعقول التي بعدت عن الله تعالي.

٣- أن هذا الامتداد والدعم الإعلامي قد يجد له في نفوس البعض ميدانا يلجاؤن إليه، ولسوف تنتهي محاولتهم بالفشل، وستبقي راية الإسلام قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

رابعا: أهداف الدراسة وارتباطها بالواقع المعاش:

١- مقاومة المد الحداثي الذي يعتمد علي إنكار الحقائق الشرعية، ففي ذلك حماية من الوقوع في شباك صيدهم المتهالكة.

٢- السعي إلي تمكين قواعد الدين، وأحكامه، ونصوصه في العقول والنفوس، ففي ذلك حماية للمجتمع من الأفكار الهدامة، والدعوات الخبيثة.

٣- التخلص من تبعات الأحكام التي يسعى إليها هؤلاء الملحدون حفاظا علي القيم.

رابعا خطة البحث:

مقدمة وتتضمن أسباب اختيار الموضوع، ومنهجي في الدراسة، ومشكلات الدراسة، وأهداف الدراسة، والبحث يشتمل علي فصول ثلاثة:

- **الفصل الأول:** تحديد المفاهيم والمصطلحات (الجانب النظري وضع القواعد).
- **الفصل الثاني:** التشكيك بين المشروع وغير المشروع (الجانب النظري ضبط القواعد).
- **الفصل الثالث:** خطر التشكيك في الرسول (ﷺ) (الجانب التطبيقي).

الخاتمة: وتشتمل علي: أهم النتائج، أبرز التوصيات، أهم المقترحات.

ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

- وضع القواعد.
- تحديد المفاهيم و المصطلحات.
- الجانب النظري.



يعتبر الحديث عن تحديد المفاهيم المستعملة في البحث العلمي بمثابة المفاتيح التي تعين علي الدخول إلي أجزاء الموضوع، وإذا تم تحديد المعني المراد من الألفاظ واستعمالها علي ناحية صحيحة فإن النتائج تكون علي قدر كبير من الصحة.

كما أن المصطلحات التي تدور في العلوم قد يحدث بينها نوع من التداخل يؤدي استعماله علي ناحية غير مقصودة إلي نتائج ليست مطلوبة، وفي ذات الوقت يصير من الضروري تحديد المصطلح المراد، وذلك من أوليات البحث العلمي، من حيث إنها تعني بوضع القواعد، وسوف أتناول ألفاظ عنوان الدراسة علي النحو التالي:

(١) لفظ الخطر:

(أ) في اللغة: وردت مادة الكلمة (خ. ط. ر) في لغة العرب واصطلاحات أهل العلم علي معان من أبرزها الورود غير المتوقع(١)، ثم التبختر والغرور(٢)، بجانب المجازفة(٣)، والرهان الخاسر(٤)، وأخيراً الإشراف علي الهلاك، وخوف التلف(٥).

---

(١) العلامة الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١ باب الراء، فصل الخاء، ص٣٨٦ مؤسسة الطباعة والنشر بيروت ط٨، ٢٠٠٥م

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، فصل الخاء، ص٢٥٠، ط ٣ بيروت١٤١٤هـ.

(٣) د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١ ص٦٦٢ باب خطر، عالم الكتب، ج١، ٢٠٠٨م.

(٤) العلامة الزمخشري، أساس البلاغة، ج١، ص٢٥٧، تحقيق: محمد باسل طبعة بيروت.

(٥) العلامة الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص١٧٣، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط٢، دار المعارف بالقاهرة.

من جملة المعاني السالفة، علي ناحية لغوية، يمكن القول بأن الخطـــر هـــو وقوع المرء الواعي علي شفا طرف لم يدر له فيه بال، يجيء مــع المجازفـــة، ويرتبط بالكبر والخيلاء، ونتائجه الهلاك والخسران لمن يقوم عليه، أو يوصـــف به[١]، علي الناحية التوظيفية.

(ب) في الاصطلاح:

يعتبر لفظ الخطر من الألفاظ التي وقع فيهـــا الاشـــتراك عنـــد الاســـتعمال، ويحسن بي الإلماح إلي بعض تلك التعريفات الاصطلاحية، ومنها-

- ما ذهب إليه ابن عابدين (ت٢٥٢هـــ) بقوله: الخطر هو "الإشـــراف علـــي الهلاك، نظراً لممارسة الأمر الشاق الذي يتمثل في الخطأ والسهو"[٢]، وغايتـــه من ذلك إثبات أن الخطر مقدمة الهلاك، أو هو الهـــلاك نفـــسه، وكـــل خطـــر يوصف بأحد هذين الوصفين.

- ذهب العلامة القشيري (ت٤٦٥هـــ) إلي أن الخطر هو "الزيادة التي تجـــيء علي أصل الدين، حيث يقع الابتداع في الشرع، ومجاوزة حـــد الأمـــر شـــديد الضرر"[٣].

وبالنظر في هذين التعريفين يتحقق أنهما يتكاملان، حيـــث يقـــع فـــي الأول الهلاك، ويقع في الثاني نوع ذلك الهلاك ومصدره، وهو الابتداع فـــي الـــدين، وذكر نصوص لا وجود لها من الناحية الشرعية.

---

(١) هذا التعريف مما أعانني الله تعالي علي استخراجه من المعاني اللغوية، فمن وفق لغيره فذلك فضل الله. ويمكن اعتباره من التعاريف الإجرائية طبقا لما تتحدث عنه المؤلفـــات المناهجية.

(٢) محمد أمين بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي، رد المحتار علي الـــدر المختـــار، ج١، ص٢١، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي بيروت ١٩٩٢م.

(٣) العلامة عبد الكريم بن هوزان القشيري، لطـــائف الإشـــارات، ج١، ص٥٨٠ تحقيـــق: إبراهيم بسيوني، ط٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

– أما الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) فقد ذكر أن الخطـر هـو الغـرور، باعتبار أنه يشمل كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان"[١]، وبنـاءً عليه فإن ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني يؤكد أسباب الوقوع في الخطر طالما كان يحتاج شيئا معه، ولكنه لا يقف عنده إذً المفروض أن كل خطر يرتد إلـي صواب لكنه لم يرتد.

– ولا يخفي أن الإمام أبا حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ذكـر أن الخطـر هـو التغليظ والاعتراض والاغترار بالفطنة الفطرية، وأن فيها غنية عن الاجتهاد[٢]، واستند الغزالي في تعريفه الخطر بما وقع من فرق الباطنية، حيث زعمـوا أن نفوسهم ذكية مرتاضة مستغنية عن الرياضات بالعبادات الـشرعية فأهملوهـا، وبالتالي وقع لهم ما يقع لغيرهم من التعرض للعقاب الأليم في الدار الآخرة.

– العلامة الزركشي (ت٧٦٤هـ) بين أن الخطر هو (السير في طريق غيـر مأهول)[٣]، وما دام الخطر هو ذلك المعني فقد عبر عن سلوك الفـرد الـذي لا يهتدي للصواب، وإنما يسير فيه حسب ما تلقي به المهالك، ولا يخفـي أن أول المهالك يجيء من التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة.

---

(١) العلامة أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصـفهاني، المفـردات فـي غريب القرآن، ج١ ص٦٠٤، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم بيروت ١٤١٢هـ.

(٢) الإمام/ أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، ج١ ص١٠١، تحقيـق: د. عبـد الـرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية بالكويت.

(٣) العلامة أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركـشي، البرهـان فـي علـوم القـرآن، ج٢، ص٣٣٠، تحقيق: محمد أبو الفضل، إبراهيم عيسي الحلبي ط١، ١٩٥٧م.

– ويعتقد العلامة ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) أن الخطر هو (الكفر والكذب علي الله بتقدير عدم الصدق)[١]، لأن الكفر هو " إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول (ﷺ) به"[٢].

ومن ثم بان أن الخطر فيه الكفر والكذب، والتقول علي الله في كتابه وسنة رسوله، حينئذٍ يقع فيه كل من الخسران والهلكة علي كل من يقوم بالتشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة.

– ويذهب العلامة البيجرمي (ت١٢٢١هـ) إلي أن الخطر فيه ارتكاب المخاوف وانتهاز الفرص، بغرض تحصيل المطلوب بسرعة، بحيث لو تواني لم يدرك هذا المطلوب[٣]، ومن ثم فلا شك أن في الخطر أمورا ترتبط بالشقاء والهلاك، وإذا اقترن بالتشكيك في الدين فقد بلغ الغاية من ناحية الفساد.

وإذا انتقلنا إلي القرن الرابع عشر الهجري نجد محمد مندور (ت١٣٨٥هـ) يؤكد أن الخطر قائم في أن نقحم علي دراستنا معارف أقل ما فيها من إضلال هو صرفنا عن التركيز في الوصول، واهمين أننا نجدد حين نتناولها بمبادئ علوم أخري"[٤].

---

(١) العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (الفتاوي الحديثية) ج١ ص١٠٢، دار الفكر.

(٢) العلامة الفخر الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص٢٤٠، وبذيله المحصل للسيوطي، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣) العلامة سليمان ابن محمد بن عمر البيجرمي، التجريد لنفع العبيد، حاشية البيجرمي علي شرح المنهج، ج٤، ص٢٢٣، ط الحلبي ١٩٥٠م، والمراد بالمنهج هنا هو منهج الطلاب الذي اختصره الشيخ/ زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للإمام/ النووي، ثم شرحه في شرح منهاج الطالبين، وقام الشيخ/ البيجرمي بإنشاء حاشية عليه.

(٤) د. محمد مندور "في الميزان الجديد" ج١، ص١٤٥، ط نهضة مصر، يناير ٢٠٠٤م.

مما سلف ذكره تبين أن الإقدام علي التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة خطر ينتهي إلي نتائج سلبية بالنسبة للفرد الذي يمارسه، والجماعة التي تقبله، حيث ينتهي الأمر بهم جميعاً إلي الهلاك لا محالة.

(٢) لفظ التشكيك:

وردت مادة الكلمة (ش. ك. ك) في القرآن الكريم حوالي خمس عشرة مرة[١]، منها قوله تعالي: ﴿**قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢]، كذلك وردت مادة الكلمة في لغة العرب واصطلاحات أهل العلم ألمح إليها طبقاً لما يلي:-

(أ) في اللغة:

وردت مادة الكلمة – شكك- علي معان منها الريبة[٣]، وفصل المتصل بعضه عن بعض، ويستدل علي هذا المعني بقوله تعالي: ﴿**بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ**﴾[٤]، ثم وصل المنقطع[٥]، ثم خرق الملتئم[٦]، ثم التفاوت[٧].

---

(١) راجع الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف باب الشين، ص٤٧٥، ط دار الحديث بالقاهرة.

(٢) سورة يونس الآية (١٠٤).

(٣) العلامة محمد بن أحمد الأزهري الهروي "تهذيب اللغة" ج١٥، باب الراء، والباء ص١٨٢، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.

(٤) سورة الدخان الآية (٩).

(٥) العلامة إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، حرف الشين، ص٤٨٠.

(٦) العلامة الزمخشري، أساس البلاغة، ج٤، حرف الشين، ص٣١١.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، باب الشين، ص١١٢.

وبناءً عليه فقد ورد في التشكيك الغير مشروع ما يدور في معني الوخــذ[١]، فإذا أضيف إلي هذه المعاني ما يجمع بينها أمكن القول بأن التشكيك عمل عقلي يقوم به صاحب القصد السيئ، حيث يدخل لأصحاب الفطر الــسليمة والعقــول الصحيحة، الريبة في صحة ما يعتقدون، حين يفصل النصوص الصحيحة عــن بعضها، ويصلها بالأخرى الفاسدة، ثم يرتب عليها نتــائج فيهــا الطعــن علــي نصوص الإسلام، حتى يخرج الناس من دين الله رب العالمين وما هو ببالغه[٢]، والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(ب) في الاصطلاح:

ذهب الإمام الإيجي إلى أن "التشكيك يكون في أركان الشريعة"[٣]، ومقــصده من ذلك أن الذين يحاولون النيل من الإسلام ديناً وكتاباً وســنة ونبيــاً غــايتهم الطعن علي أركان الشريعة الإلهية كلها فيتناولون أجزاء العقيدة الإسلامية بمــا لا يصح، كما يتناولون العمليات بالطعن عليها صلاة وصــياما وزكــاة وحجــاً مستخدمين في ذلك تأويلات فاسدة[٤]، وسوف أوضح ذلك عنــد الحــديث عــن

---

(١) رينهارت بيتر آن دُوزي، تكملة المعاجم العربية، ج١، ص٤٠٨، نقله إلي العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة العربية، طبعة أولي ٢٠٠٠م.

(٢) هذا التعريف مما أعانني الله تعالي علي استخراجه من المعاني اللغوية، فمن وفق لغيره فذلك من أفضال الله تعالي، وهو من التعاريف الإجرائية.

(٣) الإمام/ عضد الدين الإيجي، المواقف ص٤٢٢، طبعة مكتبة المتنبي بالقــاهرة، بــدون تاريخ.

(٤) من التأويلات الفاسدة استخدام جانب لغوي مجازي في مسألة حقيقية، لا تحتاج المجــاز والحقيقة اللغوية هي الأصل الثابت فيما يتعلق بالمنطوق، من حيث ظاهره، وهو الــذي التزمه الأشاعرة أهل السنة والجماعة من غير تأويل يخرجه عــن مقــصود شــرعي، وعرف لديهم باسم المعلوم من الدين بالضرورة.

التشكيك بقسميه المشروع وغير المشروع من ناحية المفهوم والجوانب الأخرى.

(٣) المعلوم من الدين بالضرورة:

ذهب علماء المسلمين إلي تعريف المعلوم من الدين بالضرورة علي ناحية تحقق الغاية المنشودة، وفي ذات الوقت يتميز عن غيره، أعرضها كما يلي:

– ذهب إمام الحرمين الجويني (٤١٩–٤٧٨هـ) إلي أن المعلوم من الدين بالضرورة هو القواطع من الأدلة التي لا سبيل إلي تحصيلها سوي من السمع نص الكتاب والسنة"[١]، ومن ثم فإن المعلوم من الدين بالضرورة قطعي الدلالة، كما هو قطعي الورود، فلا يصح التشكيك فيه، كما لا يقبل الطعن عليه؛ لأن الطعن في الضروريات خروج علي مقتضي الحكم العقلي والشرعي معاً.

– قرر الإمام القرافي (ت٦٢٦هـ) في شرحه علي المحصول للإمام الرازي نقل قوله مؤكداً عليه، قال الإبياري في شرح البرهان– فيما يتعلق بالمعلوم من الدين بالضرورة– وما دام أمرها كذلك فإن الطاعن عليها يكون قد خرج علي مبادئ العقل السليم نفس خروجه علي قواعد الشرع الشريف، وبين أن مسائل الأصول قطعية، ولا يكفي فيها الظن، ومدركها قطعي في دلالته[٢]، بحيث أن من يتشكك في القواطع من الأدلة يحكم علي نفسه بالخروج من دائرة العقلاء، والخروج من دين الإسلام، إذا كان هذا المعلوم شرعيا بحدوده.

---

(١) إمام الحرمين الجويني، البرهان في أصول الفقه، ج١، ص٧٨، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء بالقاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٢) العلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، ج٣، ص١٢٤٧–١٢٤٨، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة مصطفي الباز بالرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- ذهب الشيخ الصاوي (ت١٢٤١هـ) إلي أن المعلوم من الدين بالضرورة هو "الذي اشترك في معرفته الخاص والعام، ومن ثم فمن جحد حكماً علم من الدين بالضرورة، كجحد وجوب الصلاة، وحرمة الزني، فإنه يكون خارجاً عن جماعة المسلمين"(١).

- ذكر العلامة السعد أن المعلوم من الدين بالضرورة هو "تصديق النبي (ﷺ) في ما علم مجيئه بالضرورة"(٢)، ومن ثم فكل ما جاء به النبي (ﷺ) من المعلوم من الدين بالضرورة، لأنه (ﷺ) مبلغ عن الله، ومصدق منه جل علاه لقوله تعالي: ﴿**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى**﴾(٣)، ولا يختلف في هذا المعني شيوخ الأشاعرة، بل تكاد عباراتهم تكون متوافقة عليه.

- ويقرر العلامة الطاهر ابن عاشور أن المعلوم من الدين بالضرورة هو "الذي دلت عليه أدلة من النص الذي لا يُحتمل تأويله(٤)، وما تضافرت الأدلة الكثيرة عليه مما مستنده استقراء الشريعة"(٥)، وغايته من ذلك التأكيد علي أن المعلوم من الدين بالضرورة لا يقع فيه اجتهاد طالما لم يقبل التأويل.

---

(١) الشيخ/ أحمد بن محمد المالكي الصاوي، "شرح الصاوي علي جوهرة التوحيد" ص٤٢٣، تحقيق: وتعليق الدكتور عبد الفتاح البزم، ط دار ابن كثير، دمشق / بيروت ١٩٩٩م.

(٢) السعد التفتازاني "شرح المقاصد" ج٢، ص٢٦٧.

(٣) سورة النجم الآيتان (٣-٤).

(٤) النص الذي لا يحتمل تأويله هو القطعي في وروده، القطعي في دلالته، ولا يقبل الاجتهاد فيه؛ لأنه لو وقع اجتهاد فيه لكان علي ناحية التأويل، والقاعدة أنه لا اجتهاد مع النص.

(٥) الشيخ/ محمد الطاهر ابن عاشور، "مقاصد الشريعة الإسلامية" ص٢٣٢، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر المساوي، ج٢، دار النفائس الأردن، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

كما أن التأويل إنما يمثل نوعاً من الاجتهاد، وبناءً عليه فلا يكون إلا معلوما من الدين بالنظر وهو الاجتهاد بشروطه المشروعة، وقد دل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ**﴾[١].

مما سلف بيانه جرت عبارة الأصوليين بأن حظ الأصول إبانة القاطع في الدليل الظني[٢].

ولا يخفي أن المعلوم من الدين بالضرورة هو القطعي في وروده، القطعي في دلالته، وقطعيته في وروده مدلول عليها، بحيث يكون هذا النص صح وروده عن الله تعالي، وهو القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية المطهرة، ولا يقبل الاجتهاد، كما لا يقبل التأويل، وقد علق ابن عاشور علي الفارق بين القطعي في دلالته والظني، مؤكداً أن القطعي وجب العمل به (من حيث أنها أدلة شرعية)[٣].

من المؤكد أن المعلوم من الدين بالضرورة أحد أقسام الحكم العقلي، والحكم الشرعي معاً، أما من حيث حكم العقل فقد قرر الإمام الشاطبي (ت٧٩٠هـ) أن المعلومات عند العقلاء تنقسم ثلاثة أقسام:

---

(١) سورة آل عمران الآية (٣).

(٢) هذه الإبانة عمل علم الأصول، وعالم الأصول، فإذا تميز له الدليل القطعي من الدليل الظني، وجب العمل بالأول. راجع الشيخ/ العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأحكام ج١، ص١١، ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) الشيخ/ محمد الطاهر ابن عاشور، "مقاصد الشريعة الإسلامية" ص٢٣٣.

القسم الأول: الضروري:

وعرف بأنه (الذي لا يمكن التشكيك فيه، كعلم الإنسان بوجوده، وعلمه بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الضدين لا يجتمعان"[١]، وهذا القسم يتمثل فيه الواجب العقلي، وبناءً عليه فلا يصح التشكيك فيه من عاقل أبداً، إذ التشكيك في الضروريات لا يقوم به عاقل، ومن فعل ذلك إنما يكون عقله مستحق الاسترحام[٢].

أما لماذا فلأن التشكيك في الضروريات لا يصح أبداً من حيث أنه معلوم ضروري علي أحكام العقل[٣]، ومن ثم فهو داخل في نطاق المعلوم من الدين بالضرورة.

الثاني: القسم الغيبي:

وهو الذي لا يعلمه أحد ألبته إلا أن يعلم به[٤]، أو يجعل له طريق إلى العلم به[٥]، وذلك كعلم المغيبات عنه، أو كانت من قبيل ما يعتاد علم العبد به، كعلمه بما تحت رجليه إلا أنه مغيب عنه تحت الأرض بمقدار شبر[٦]، أما ما كان من

---

(١) الإمام/ إبراهيم بن موسي بن محمود الشاطبي "الاعتصام" ج٣، ص٢٨٣، تحقيق ودراسة: د. هشام إسماعيل، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٨م.

(٢) المراد بالاسترحام هنا ما ألمح إليه الإمام/ الغزالي في كثير من مؤلفاته، وهو خفيف العقل الذي لا يعتد برأيه، ولذا تصح الدعوة له بأن يسترحمه الله تعالي أو يرحمه.

(٣) الثابت لدي العقلاء أن أحكام العقل ثلاثة (الواجب، والمستحيل، والممكن).

(٤) هذا الوجه مما يعلم به عن طريق الإلهامات، والعلم اللدني، من حيث أنه وارد عن الله تعالي، قال تعالي: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً**﴾ سورة الكهف الآية (٦٥).

(٥) هذا الوجه مما يعلم بالوحي، وخبر النبوة، كما قد يعلم ممن علمه، وسيق له، وهؤلاء أصحاب الفطر العالية.

(٦) هذا الوجه من ذات القسم رغم أنه من علم المغيبات إلا أنه بالإمكان معرفته طالما كانت هناك وسائل تبلغ بصاحبها تلك الغاية، ومنه علم ما في باطن الأرض من الركاز والغازات والمعادن.

قبيل ما يعتاد ولم يعلمه العبد كالحال مع البلد القاصي عنه الذي لم يتقدم له به عهد(١)، ويدخل فيه علمه بما في السماوات وما في البحار، وما في الجنة أو النار على التفصيل، فعلمه بما لم يجعل له عليه دليل غير ممكن(٢)، من ناحية النقل والعقل أيضا.

القسم الثالث: وهو الذي يمكن العلم به، ويمكن أن لا يعلم وهي النظريات(٣) وتلك الممكنات التي تعلم بواسطة لا بأنفسها، إلا أن يعلم بها إخبارا(٤).

مما سلف ذكره تبين أن الضروريات العقلية، والضروريات الشرعية لا يمكن التشكيك فيها أبداً، كما أن المغيبات التي مصدرها الخبر الصادق عن الله تعالي في كتابه وسنة رسوله لا يمكن التشكيك في أصولها أبداً، أما النظريات التي تعلم بواسطة فقد يدخلها التشكيك، علي أساس أن النسبة بينها تحتاج التفاضل، فيكون تشكيكا علي لغة المنطق والأصول، والمعروف أن التشكيك إنما يقع إذا تفاضلت النسبة، فإذا لم تتفاضل بأن كانت متماثلة فإن الواقع يسمي بالمتواطئ لا التشكيك(٥).

---

(١) هذا الوجه مما لم يظهر للكثيرين ممن ليس لهم به عهد من تلك الناحية، كالحال مع الأماكن المجهولة، وتسمي قسماً غيبياً من تلك الناحية، أو كالحال مع المكتشفات في القارات الثلاثة الأمريكيتين واستراليا.

(٢) راجع للإمام/ إبراهيم بن موسي بن محمود الشاطبي "الاعتصام" ج٣، ص٢٨٣.

(٣) يفرق الإمام/ الشاطبي بين الضروريات التي لا يقع التشكيك فيها لبداهتها العقلية، أو النقلية، وهي المعلوم من الدين بالضرورة الذي مصدره الله (ﷻ)، ويعني به أصول العقيدة، والتكاليف وما كان من هذا القبيل.

(٤) الإمام/ الشاطبي، الاعتصام ج ٣، ص ٢٨٣.

(٥) المتواطئ هو الكلي الذي يكون حصول معناه وصدقه علي أفراده الذهنية والخارجية علي السوية كلفظ الإنسان فإن الإنسان له أفراده في الخارج، وصدقه عليها بالسوية، وكذلك لفظ الشمس له أفراده في الذهن وصدقها عليه أيضاً بالسوية. السيد الشريف=

وعلى هذا فإن المعلوم من الدين قد يكون بالضرورة العقلية، وقد يكون بالضرورة النقلية الشرعية، والتشكيك في أي واحد منهما له خطر كبير علي العقيدة والشريعة والأحكام، بجانب القيم والأخلاق.

(٤) المعلوم من الدين بالنظر:

– هو "الذي لم يشترك في معرفته الخاص والعام، ودليله ليس يقينياً من ناحية تفهمه، ولا قطعياً في دلالته، وإنما مرده لاجتهاد النظار، ومثل له الفقهاء بفرض السدس لابنة الابن مع البنت تكملة الثلثين، فإنه ثبت بإجماع الصحابة، والمعتمد أن منكره ليس بكافر، وإنما يكفر إذا نفي مجمعاً عليه من الدين بالضرورة"[١].

سلف الحديث عن المعلوم من الدين بالضرورة، وبان أنه يقوم في الضرورة العقلية والنقلية بأدلته وشواهده، أما المعلوم من الدين بالنظر فهو الذي يقوم في دليل قطعي من حيث الورود، لكن هذا الدليل يحتمل التأويل، ويقبل تعدد المعاني والوجوه، بجانب الدلالات[٢]، ويقع للعلماء اجتهادات في بيانها والاحتجاج بها[٣].

ومن ثم فإن المعلوم من الدين بالنظر يقع للعلماء فيه أنواع كثيرة من الاجتهاد، ويدخل في نطاق القاعدة المشهورة، من وقف علي دليل فيه، وجب عليه العمل به، أما من لم يقف عليه بدليل صحيح لديه، فليس مكلفا به.

=الجرجاني، التعريفات ج١، باب الميم، ص١٩٩، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(١) الشيخ/ أحمد الصاوي، شرح الصاوي علي الجوهرة، ص٤٢٤.

(٢) هناك فرق بين الدليل والاستدلال، فالدليل قائم برأسه، بينما الاستدلال توظيف لوجه الدليل علي ناحية صحيحة.

(٣) الشيخ/ نور الدين مختار الخادمي، المقاصد في المذهب المالكي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، ص٤٤٢، ط٣، مكتبة الرشد بالرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

– وقد نبه الإمام العز بن عبد السلام (٥٧٧-٦٦٠) إلى "أن الشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح[١]، وقد أبان الله في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثاً علي اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من مصالح حثاً علي إتيان المصالح"[٢]، وذلك لحكمة مشروعة قد نعلم ظاهرها.

من البين أن المعلوم من الدين بالضرورة تثبت به الأصول علي وجه يقيني لا يقبل التأويل، أما المعلوم من الدين بالنظر فإنه يتناول الكيفية المتعلقة بالدليل القطعي من ناحية وروده، والظني من ناحية الدلالة، وعلي هذا تكون الأصول العقدية كلها معلوماً من الدين بالضرورة، أما كيفيتها، فهي التي يجيء فيها الاجتهاد[٣]، مثال ذلك قوله تعالي: ﴿**فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً**﴾[٤]، فإن الأمر بالصلاة معلوم من الدين بالضرورة، ولا يستطيع أحد أن يجادل في كونها مؤقتة بمواقيتها.

ومما يدل علي المعلوم من الدين بالنظر قوله جل شأنه:﴿**حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى وَقُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ**﴾[٥]، فإن الأمر بالصلاة من

(١) درء المفسدة فيه مصلحة وجلب المصلحة هو عين المصلحة، طالما كان ذلك من أحكام الشارع جل شأنه.

(٢) الإمام/ أبو محمد عز الدين بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأحكام، ج١، ص١١.

(٣) الاجتهاد لا يكون الا ممن اجتمعت فيه شروط الاجتهاد، من حفظ كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ)، والتمكن من علوم العربية ودلالتها، وفوق ذلك الرغبة في خدمة النص المنزل طاعة لله ورسوله، وأن يكون مظنة الاجتهاد عالما عاملا داعيا، لأنه مستخلف عن الله تعالى ورسوله (ﷺ).

(٤) سورة النساء الآية (١٠٣).

(٥) سورة البقرة الآية (٢٣٨).

حيث هي معلوم من الدين بالضرورة، أما الوسطي فللعلماء فيها اجتهادات متعددة.

- وقد نبه إلي ذلك كثير من أهل العلم، فقد ذهب العلامة القرطبي (ت٦٧١هـ) إلي أن معني الصلاة الوسطي فيها عشرة أقوال، أما لماذا؟ فلأنها من المعلوم من الدين بالنظر، وتعلق بها أمر الكيفية[(١)].

- ومن هذه الأقوال في الصلاة الوسطي أنها صلاة الظهر؛ لأنها وسط النهار مستدلين بما روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، قالت: "حافظوا علي الصلوات والصلاة الوسطي وصلاة العصر"[(٢)].

- ومن ثم فصلاة الظهر من حيث هي صلاة، فهي ركن من أركان الدين الإسلامي، أما من حيث هي وسطي، فذلك مما اجتهد به العلماء، وبه تصح التفرقة بين المعلوم من الدين بالضرورة، والمعلوم من الدين بالنظر.

- ومنها أنها صلاة العصر معللين ذلك بأنه قبلها صلاتا نهار هما الصبح والظهر وبعدها صلاتا ليل وهما المغرب والعشاء، وإليه مال الكثيرون من أهل العلم[(٣)].

ولا يخفي أن أصحاب كل قول هم من أهل العلم، وأصحاب الاجتهاد القائم علي ظواهر أدلة شرعية، بدليل أن أصحاب القول بأن الصلاة الوسطي هي صلاة العصر، احتجوا بحديث ابن مسعود "الصلاة الوسطي صلاة العصر"[(٤)].

---

(١) راجع للعلامة القرطبي "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته السنة وآي الفرقان" المجلد الرابع"، ص١٧٥، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢) الإمام/ أحمد "المسند" ج٤ ص٥٠٥، رقم الحديث(٢٤٤٤٨) ط مؤسسة الرسالة.

(٣) راجع للعلامة أبي جعفر النحاس "إعراب القرآن" ج١ ص٣٢١، فقد نبه إلي الأدلة التي استند عليها أصحاب القول بأن الصلاة الوسطي هي صلاة العصر.

(٤) الإمام/ الترمذي "سنن الترمذي" ص١٨١، وقال حديث حسن صحيح.

وإذا تتبعت الأقوال في الصلاة الوسطي وتعينها وهيئاتها ربما امتدت صفحات البحث، واعتقد أن تتبع هذه الأدلة قد يخرجه عن الصفحات المطلوبة[١].

يمكن تقديم أمثلة لكل من المعلوم من الدين بالضرورة، والمعلوم من الدين بالنظر في مسائل العقيدة، و تناولها من الناحية التطبيقية في قضايا علم العقيدة:

(أ) في الإلهيات:

وجود الله تعالي ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً هو المعلوم من الدين بالضرورة، أما كون الأسماء الإلهية هي الصفات الربانية، وكون الصفات زائدة علي الذات، أو غير زائدة، فذلك راجع إلي اجتهاد العلماء، ويدخل في نطاق المعلوم من الدين بالنظر، يدل عليه أن المؤلفات في علم العقيدة تتناول هذه المسائل في صور متعددة، وحبرت فيها صفحات كثيرة[٢]، وبهذا يكون المعلوم من الدين بالنظر

---

(١) راجع العلامة أبو بكر بن العربي "أحكام القرآن" ج١، ص٤٢٤، وتعتبر الإحالات صحيحة من ناحية الاستدلال. راجع صحيح مسلم، ج١، ص٤٥٢، رقم الحديث (٦٥٢)، والإمام/ البخاري ج١، ص١٣٢، الحديث رقم (٦٥٤) تحقيق: زهير بن ناصر الناصر، ترقيم الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) من ذلك علي سبيل المثال ما ذكره العلامة الباقلاني في الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص٣٨، تحقيق: الكوثري، ط الخانجي، وإمام الحرمين، في لمع الأدلة، ص٨٢/٨٣، تحقيق د. فوقية حسين محمود، والإمام/ الشهرستاني "نهاية الإقدام في علم الكلام، ص١٨١، والفخر الرازي الأربعين في أصول الدين" ج١، ص٣٢٠ تحقيق: السقا، والبياضي إشارات المرام من عبارات الإمام" ص١١٨ تحقيق: يوسف عبد الرزاق، والبيهقي في الاعتقاد علي مذهب السلف أهل السنة والجماعة ص٣١، والبغوي شرح السنة ج١، ص١٧٣، والإمام/ الأشعري الإبانة عن أصول الديانة " ج٢ ص١٤١، تحقيق د. فوقية حسين محمود، والإمام/ التفتازاني شرح العقائد النسفية، ص٧٠، والقاضي عبد الجبار شرح الأصول الخمسة، ص١٦٢، فقد دلت كلها علي أن هذه المسائل ليست قطعية في دلالتها، وبالتالي فهي من المعلوم من الدين بالنظر.

الواقع في مجال الاجتهاد له وجود في المؤلفات الكلامية فيما يتعلق بالإلهيات، وكذلك المعلوم من الدين بالضرورة.

(ب) النبوات:

المعلوم من الدين بالضرورة أن سيدنا محمد (ﷺ) قد بعثه الله خاتماً للأنبياء والمرسلين، وجعل رسالته للإنس والجن أجمعين، ودلت علي ذلك النصوص القطعية في ورودها ودلالتها، من حيث أن الإنس والجن هما الثقلان، ومحل التكليف، والدلائل علي كثيرة.

أما كون الرسول (ﷺ) مرسلاً للملائكة والنبات والجماد والحيوان، وحتى نفسه فهو من المعلوم من الدين بالنظر، من حيث إن قوله تعالي: ﴿**وَما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ**﴾[1] يؤدي إلي تلك النتيجة، وقد فهم البعض أن قوله تعالي:﴿**وَما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ**﴾ يدخل فيه كل ما سوي الله من: إنس، وجن، وملائكة، وحيوان، وجماد، حتى نفس الرسول (ﷺ)، وقالوا أنه مرسل إلي نفسه، فذاك المعلوم من الدين بالنظر، وليس المعلوم من الدين بالضرورة، ولذا كثرت الاجتهادات في المسألة.

(ج) السمعيات:

المعلوم من الدين بالضرورة هو اليوم الآخر، بما فيه من بعث ونشر وحشر وجنة ونار، بجانب الصراط والميزان إلي غير ذلك؛ لأنها قد وردت بها نصوص قطعية في ورودها، أما الكيفيات المتعلقة بالبعث، وهل هو عن عدم، أو تفريق إلي غير ذلك من الوجوه، فإنما هو المعلوم من الدين بالنظر، إذ الكيفية من الغيبيات التي يجتهد العلماء في التعرف عليها[2].

---

(١) سورة الأنبياء الآية (١٠٧).

(٢) الذي يطالع المؤلفات الكلامية في المسائل السمعية يجد الآراء المطروحة فيها متعددة إلي حد كبير، ويكفي مراجعة الرازي في الأربعين في أصول الدين، والإمام/ الإيجي=

وقد ذهب فريق من الأصوليين إلي ذكر معلوم ضروري من العقل، ويسمي المعلوم الضروري العقلي، ويذكرون له أمثلة كعلم الإنسان الواعي أنه موجود، ومعرفة أن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الضدين لا يجتمعان، ويؤكد الإمام الشاطبي أن هذا المعلوم العقلي الضروري لا يمكن التشكيك فيه"[١].

غير خاف أن تحديد المفاهيم وتحرير المصطلحات له أهمية كبري، وقد بانت فيما عرضته، وأخلص إلي أن فكرة التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة خطر داهم علي كل أنماط الحياة؛ لأنه إذا تم التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة –لا قدر الله– انتهي أمر الدين كله، وإذا انتهي أمر الدين سادت الفتنة، وعم الخراب، والله تعالي توعد عباده بأن الساعة لا تقوم إلا علي شرار الخلق.

=في المواقف، والإمام/ السعد في شرح المقاصد، وكثيراً ما تعرض العلماء إليها في أبحاثهم ذات الانتشار الواسع، مما يدل علي أن الكيفية معلوم من الدين بالنظر.

(١) الشيخ/ إبراهيم بن موسي بن محمود الشاطبي "الاعتصام" ج٣، ص٢٨٣.

الفصل الثاني

- ضبط القـواعد.
- التشكيك بين المشروع وغير المشروع.
- الجانب النظري.

تمهيد

المتابع للفكر الإسلامي يجد أن أهل العلم قد نظروا للتشكيك ودلالته الاستعمالية، ثم قسموه من الناحية الوظيفية إلي قسمين كل منهما جاءت إشارة إليه في مصادرهم المعتبرة عندهم.

الأول التشكيك المشروع:

وهو الذي يقوم به صاحبه علي الاجتهاد في تغيير الاعتقادات الفاسدة، والتركيز علي أوجه فسادها، ثم إخراج المقلدين منها، بغرض الوصول إلي العقيدة الصحيحة، ويذكر الإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) التشكيك بقوله: "التشكيك معناه أن الداعي ينبغي له بعد التأنيس أن يجتهد في تغيير اعتقاد المستجيب بأن يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه"[١]، وليس لديه دليل شرعي علي صحة ما يعتقد.

فإذا استطاع أن يغير هذا الاعتقاد الفاسد فإنه يحقق نتائج مشروعة؛ لأن من تأكد فساد اعتقاده فإنه يرجع إلي استعمال عقله الصحيح ويتمسك بما في فطرته الشرعية ما دام المشكك قد بلغ به درجة الضرورة العقلية.

والبين من الآيات القرآنية أن جميع الأنبياء والمرسلين حينما كانوا يبعثون إلي أممهم فإنهم يتجهون إلي تشكيكهم في معتقداتهم، ويكفي هنا أن أشير إلي ما جاء في القرآن الكريم علي لسان خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) حينما واجه قومه في اعتقادهم، تأليه الليل والقمر والشمس مستخدماً دليل التغير القائم في الأفول حينئذٍ يقف مع ذات الفرد العاقل عند مرحلة يخرج القلب عن ظلمته والعقل عن معلوماته الزائفة قال تعالي: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ**

(١) الإمام/ أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية ج١، ص٢٥، تحقيق: عبد الرحمن بدوي.

يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[١].

قال العلامة الجرجاني: "الأول الاستدلال بحدوث الجواهر قيل هذا طريقة الخليل صلوات الرحمن وسلامه عليه حيث قال لا أحب الآفلين، وهو أن العالم الجوهري المتحيز بالذات حادث كما مر، وكل حادث فله محدث، كما تشهد به بديهة العقل فإن من رأى بناء رفيعا حادثا جزم بأن له بانيًا"[٢]، ومن ثم فدليل التغير قائم علي ناحية صحيحة.

وذكر العلامة السيالكوتى في هذا الاستدلال (لا أحب الأفلين) بمعني "لا أحبهم فضلا عن عبادتهم، لأن الأفل حادث لحدوث عارضه الدال علي حدوثه بمعني أن الأفول وما هو حادث فله محدث غيره، فلا يكون مبدأ لجميع الحوادث، فلا يكون صانعا للعالم ولا يكون محبوبًا للعقل"[٣].

ولقد استدل العلماء علي أن الأفول – أفل الليل، وأفل القمر، وأفل الشمس– نزل علي معني الغيبة الذي يعم الجوهر والعرض من غير استثناء وقوله (عليه السلام) لا أحب الأفلين إنما هو نفي لربوبية ما سوى الله.

وبناء عليه فإن اختصاص طريق الخليل (عليه السلام) بحدوث الجوهر يسقط ما يجيء بعده، ولهذا كانت تلك الطريقة مفيدة في إثبات حدوث الجوهر والعرض وغيرهما فلا يثبت وجود خالق للكون إلا الله (سبحانه وتعالى).

---

(١) سورة الأنعام الآيات (٧٦–٧٨).

(٢) السيد الشريف الجرجاني، شرح المواقف، المجلد الرابع، ج٨، ص٤، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، وعليه حاشيتا السيالكوتى، والجلبي الفنارى.

(٣) العلامة عبد الحكيم السيالكوتى حاشية عبد الحكيم علي شرح المواقف المجلد الرابع ج٨، ص٤

يقول الفخر الرازي: "حاصل الكلام راجع إلي أن أفول الشمس وطلوعها يدلان علي كونها تحت تدبير مدبرها، فكانت العبادة لقاهرها ومدبرها، والمتصرف فيها أحق"[1].

وهناك لطيفة نبه إليها الشيخ عبد الحكيم مردها استدلال الخليل (عليه السلام) بحدوث الأفول علي حدوث محله أيضا، وأنه ليس ربا[2]، وينتقل الشيخ/ عبد الحكيم قائلا: "قد يقال إن ذلك منه (عليه السلام) برهان حدسي فإنه (عليه السلام) لقوة حدسه استفاد منه أن معبوده لا يصلح للألوهية"[3].

فلما انتهي خليل الرحمن من تشكيك القوم في تأليه الليل والقمر والشمس والكواكب، وأنه مما لا يجب اعتقاده، أخذ بهم إلي بناء العقيدة السليمة، فقال ما حكاه القرآن عنه:﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[4].

وكذلك حكي القرآن الكريم عنه هذا الجانب في إبطال الألوهية الفاسدة حيث قررهم ثم بين فسادهم، قال تعالي: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**﴾[5].

---

(١) العلامة الفخر الرازي، أسرار التنزيل وأنوار التأويل، ص٣٧، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٣٧هـ /٢٠١٦م.

(٢) تقوم طريقة الخليل (عليه السلام)علي مبدئين: أحدهما مبدأ التخلية، وفيه الاستدلال بحدوث ما سوى الله، ثانيهما مبدأ التحلية وهو التأكد علي إثبات وجود الله جل علاه.

(٣) الشيخ/ عبد الحكيم، حاشية عبد الحكيم علي شرح المواقف، المجلد الرابع، ج٨، ص٤، وهو وجه يمكن قبوله علي الناحية التي جاء منها.

(٤) سورة الأنعام الآية (٧٩).

(٥) سورة الشعراء الآيات (٦٩-٧١).

ذكر العلامة الصابوني "إن إبراهيم (ﷺ) قال لأبيه وعشيرته أي شيء تعبدون، لقد سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم سفاهة عقولهم في عبادة ما لا ينفع، ويقيم عليهم الحجة"(١)، وذلك واضح في دلالته، بين من ناحية وجه الاستدلال.

من المؤكد أن هذا التوجه في صياغة الدليل يدل علي أن المفسرين قد أفادوا من طرق المتكلمين في هذا الجانب من الدلالة، بحيث يمكن القول بأن الأدلة النقلية لها دور بارز في توجهات المذهب الأشعري القائم على الوسطية، والتزام النصوص النقلية التي تعبر عن المنهج الأشعري في الوصول للعقيدة الإلهية من خلال النصوص الشرعية، والثوابت العقلية.

ومن الدلائل عليه ما ذكره القاضي أبو السعود (ت٩٨٢هـ) وصاغه علي طريقة من يريد السؤال والجواب حتى يثبت عليه خطأ اعتقاده قالوا نعبد أصناماً لا نتركها، فكان ذلك منهم علي سبيل الافتخار، قال إبراهيم لهم علي سبيل التبكيت والتوبيخ هل يسمعون دعاءكم، وهل يبذلون لكم منفعة أو يدفعون عنكم مضرة" فاعترفوا بأنها لا تنفع ولا تضر بالمرة، واضطروا إلي إظهار الحقيقة وهي أنه لا سند لهم سوي التقليد"(٢)، الذي ورثوه عن سلفهم.

وكذلك فعل معهم فيما يتعلق باعتقادهم تأليه الأصنام والأوثان، ثم أخذهم إلي قاعدة التشكيك في هذه الاعتقادات الباطلة حتى يزلزل ما في عقولهم ويردهم إلي الصواب إن كان لهم فيه نصيب، قال تعالي: ﴿**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**﴾(٣)، وهو سؤال جوابه معه.

---

(١) الشيخ/ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص٣٥١، ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢) القاضي/ أبو السعود محمد بن محمد مصطفي العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم، ج٤، ص١٠٩.

(٣) سورة الشعراء الآيتان (٧٢-٧٣).

صحيح أن هذا الاستدلال قام علي البراهين العقلية، وبين أن المجادل فيها منكر للبرهان، والمعلوم أن منكر البرهان ليس في عداد الأسوياء، بالإضافة إلي أن حجة خليل الرحمن ارتبطت بجملة من الدلائل غير ما ذكر.

أجل نبه العلامة الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) إلى تلك الحجة التي ذكرها خليل الرحمن، وبين "أن الغالب من حال من يعبد غيره أن يلتجئ إليه في المسألة ليعرف مراده إذا سمع دعاءه، ثم يستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة، فقال لهم فإذا كان من تعبدونه لا يسمع دعاءكم حتى يعرف مقصودكم[(١)]، ولو عرف ذلك ما صح أن ينزل النفع أو يدفع الضرر، فكيف تستجيزون أن تعبدوا ما هذا وصفه"[(٢)].

من المؤكد أن خليل الرحمن إنما هو نموذج لكل أنبياء الله والمرسلين حين يقومون بالدعوة إلي الله جل علاه، فيكون أمامهم هدفان: أحدهما: إبطال المعتقدات الفاسدة، ثانيهما: غرس المعتقدات الصحيحة، وهي سنة الله في المرسلين جميعاً، وجاءت آيات القرآن الكريم مبينة هذا علي نواح تفصيلية.

غير خاف أن خليل الرحمن (عليه السلام) ذكر لهم جوانب خمسة فيما يتعلق بعملية التشكيك المرادة هنا، وأعني بها التشكيك المشروع:-

الجانب الأول: افتقاد أسباب الحياة في الآلهة المعبودة:

ومعناه أن هذه الآلهة التي يعبدونها من الأصنام والأوثان وغيرها، ليس لها حواس، - ظاهرة وباطنة- بحيث تدل علي حياتها[(٣)]، وابتدأ بذكر حاسة السمع

---

(١) هذا من الإلزمات العقلية، ومعناه أن من تعبدونه يجب أن يسمع دعاءكم، ويحقق مقصودكم فإذا لم يكن كذلك لزم تركه من حيث إنه لا يسمع النداء ولا يحقق الرجاء.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب المجلد الثاني عشر، ج٢٣، ص١٣٣.

(٣) استعمال الحواس الخمسة علي ناحية صحيحة يدل علي أن صاحبها حي، ويملك قدراً من الإرادة، كما يستطيع الوصف بأنه ذو مرحلة واعية من الإدراك، وقد نبه إلي ذلك=

علي أساس أنه وسيلة تلقي الخطاب، والتخاطب من ناحية الداعي، فإذا لم يكن يسمع فكيف يستجيب، ولعل ذلك مدلول عليه بقوله تعالي: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[(١)]، وبهذا يتضح أن ما يعبده هؤلاء وأمثالهم إنما هو من الجمادات التي تفتقد أسباب الحياة علي ناحية الإحساس والشعور بينما العابدون فيهم إحساس وشعور، فهل يعبد الكامل الناقص؟.

الجانب الثاني: العجز عن الفهم:

ومعناه أن هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تستجيب لهم علي ناحية من النواحي، فكما تفتقد أسباب الحياة؛ فإنها تفتقد مظاهرها من الفهم الواعي، والتركيز الذهني، وقد جاء ذلك مطوياً في دلالة قوله تعالي: ﴿**إِذْ تَدْعُونَ**﴾[(٢)].

ومن المؤكد أن من يسمع ويقع له تركيز ذهني قد يستجيب لمن دعاه، ولا يتأثر إلا بشيء قليل نبهت إليه الكتابات العلمية في نظرية الفروق الفردية[(٣)]، من ثم فإن هذه المعبودات تمثل المعتقدات الفاسدة ويجب التشكيك فيها، من

=أبو الوليد بن رشد في كتاب تلخيص النفس، حيث ذكرها علي ناحية استيفائية. راجع لأبى الوليد بن رشد، تلخيص كتاب النفس، ص٢٩-٥٤، حيث تناول الحواس الخمس- اللمس، الذوق، الشم، السمع، البصر- علي ناحية تفصيلية حتى وصل الحس المشترك. تحقيق د. أحمد فؤاد الأهواني مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠م.

(١) سورة النمل الآيتان (٨٠-٨١).

(٢) سورة الشعراء من الآية (٧٢).

(٣) راجع د. فؤاد أبو حطب القدرات العقلية ص١٦، وقد توسع في ذكر عمومية الفروق الفردية، وقابليتها الملاحظة، والقياس، بجانب التوزيع التكراري، وقد شغل هذا الحديث الصفحات ١٦-٢٧، ط٥، الأنجلو المصرية، ١٩٩٦م.

حيث أنها لا تستجيب نداء الداعي، ولا تفهم مقــصده بجانــب افتقادهــا كافــة المظاهر الحيوية.

الجانب الثالث: ما يترتب علي الدعاء والاستجابة:

وهو يدور في أن خليل الرحمن وضع أيديهم علي النتيجة، وبين أنه إذا لــم يكن هناك إصغاء من المدعو بحيث يستجيب لدعاء الداعي، فلا يصح أن يكون إلهاً؛ لأن الإله الحق الواحد له كافة صفات الجلال والجمال والكمال والإكــرام، وهو يستجيب دعاء من دعاه إذا كان علي يقين من استجابة مولاه[1].

يدل عليه ظاهر قوله تعالي: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيــبٌ أُجِيــبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُــدُونَ**﴾[2]، فــالله تعالي أمر عباده الاستجابة إليه والإيمان اليقيني به، وهو (ﷻ) سميع دعاء مــن دعاه، ومجيب رجاء من ارتجاه.

قال الفخر الرازي: "في الآية سر نفيس فان العبد ممكن الوجود فهــو مــن حيث هو، هو مركز العدم، وحضيض الفناء، فلا يمكنه القرب من الــرب، أمــا الحق سبحانه فهو القادر من أن يقرب بفضله وبرحمته من العبد، والقرب مــن الحق إلي العبد لا من العبد إلي الحق"[3].

---

(١) نبه علماء العقيدة وغيرهم إلي أن العبد إذا كان لديه يقين بأن الله تعالي يسمع ويستجيب له، فالعبرة بما هو دائر في عقيدة الداعي، قال الشيخ/ الجرداني: "كنت معتقدا توحيدي، ومصدقا برسولي محمد (ﷺ) وبما جاء به وهــو الإيمــان"، الــشيخ/ محمــد عبــد الله الجرداني، الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية، ص٢٧، ط: محمد علي صــبيح وأولاده.

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٦).

(٣) العلامة الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الثالث، ج٥، ص٩٥، ط دار الغد العربي.

الجانب الرابع: تقديم النفع:

ومعناه أن يكون المعتقد فيه قادراً علي إنجاء المُعتَقد، حيث يقدم له نفعاً يرتجيه، أو يدفع عنه ضررا يؤذيه، وهي مواجهة دقيقة قام بها خليل الرحمن، حيث قاد عملية التشكيك المشروعة ليصل بهؤلاء إلي النتيجة المقصودة، قال تعالي: ﴿**فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾[1]، ولن ينطقون، فثبت التشكيك فيها من باب القسمة العقلية.

هنا تبدوا أحاديثهم النفسية منهزمة من داخلها، كما جاء اعترافهم صريحاً بأن عملية التشكيك التي أخذهم إليها خليل الرحمن في المعبودات الفاسدة قد بلغت غايتها، وصور القرآن الكريم هذا الاعتراف في قوله تعالي: ﴿**فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ**﴾[2]، مسألة تقديم النفع قيامها علي الملكية، من حيث إن من يملك يستطيع أن يقدم النفع المطلوب، فإذا لم يتمكن منه كان عاجزاً، والعاجز لا يكون إلهاً أبداً، قال العلامة الملاحمي (ت٥٣٦هـ): "إن القديم قادرٌ عالمٌ؛ لأنه مُحْدِث العالم، وأنه هو الله تعالي"[3].

وهذا دال علي أن خليل الرحمن استخدم التشكيك المشروع معهم في معتقداتهم الفاسدة من جانب عجزها عن تقديم النافع الذي تميل إليه النفس، وتحرص عليه، فأدركوا أن آلهتهم لا تقدم لهم نفعاً، وهذا في حد ذاته توظيف دقيق لعملية التشكيك المشروع التي قادها خليل الرحمن.

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٦٣).

(٢) سورة الأنبياء الآيتان(٦٤-٦٥).

(٣) الملاحمي كتاب(المعتمد في أصول الدين) ص١٨٣ بتصرف يسير، تحقيق: مارتن مكدرمس، ويلفرد ماديلونغ، مركز تحقيق: علوم إسلامية، ط الهدي لندن .

الجانب الخامس: العجز عن دفع الضرر:

ومعناه أن هذه الآلهة التي يعبدونها لا تدفع الضر عن نفسها، وإلا كانت دفعت إبراهيم عن تحطيمها، والقاعدة أن ما لا يملك تحقيق نفع، ولا يملك دفع ضر بل عجز عن دفعه، فإنه لا يكون إلها أبدا.

شاهد الحال أن خليل الرحمن حين حطم أصنامهم بعد أن توعدهم بذلك التحطيم لم يتمكنوا من دفعه عنهم، يدل عليه قوله تعالي: ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**﴾[١]، وشاهد الحال هذا ناطق بصدق دعوي خليل الرحمن، وفساد مزاعم خصومه، وكأنه قال لهم لأكيدنكم في أصنامكم، "لأنه بذلك الفعل قد أنزل بهم الغم"[٢].

أما الإله الحق جل علاه فإنه الذي يلجأ الجميع إليه، فيرفع الضر عنهم إذا شاء، قال تعالي: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٣].

ومن التشكيك المشروع ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالي: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ**

---

(١) سورة الأنبياء الآيات (٥٧-٦٠)،

(٢) الإمام/ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الحادي عشر، ج٢١، ص١٤٥.

(٣) سورة يونس الآيات (٢١-٢٣).

مُبِينٍ﴾[1]، البين أن الآية الكريمة جاء فيها تشكيك القوم فيما يتعلــق بــالرزق، وبيان الإنصاف، وكأن المعني أيُنا علي هدي، وأيكم في ضلال، ومن المعلــوم أن النبي إنما يكون علي الهدي ومخالفه علي الــضلال، وكــأن معنـــي الآيـــة الكريمة سؤال القوم عن الرزاق هل الله أم غيره، فإن كان هو الرزاق فلماذا لا تعبدونه، وإن كان غيره فلما لا تسمونه بحيث يكون معلوماً للجميع من ناحيـــة اسمه، وطريقة سوق الرزق إلي عباده.

وذهب العلامة الأنصاري (ت٩٢٦هـ) إلي أن التشكيك فيه شيء من إجراء المعلوم مجري المجهول لإرادة الإنصاف في الجدل، والوصول إلى الغرض[2]، ثم يستدل علي ما ذهب إليه بقوله جل شأنه : ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِــنَ الــسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِــينٍ**﴾[3]، ثــم تــولي شرحها مبيناً المعني بقوله: وإنَّا لمهتدون أو ضالون وأنتم كذلك، ويزيد المعنـــي إيضاحاً ضارباً المثال، فيذكر أنه قاله للتعريض بضلالهم، كقول الرجل لخصمه إذا أراد تكذيبه: إنَّ أحدنا لكاذبٌ[4].

وهكذا يستدل العلماء علي أن التشكيك المشروع يصل بصاحبه إلـــي غايـــة منشودة، ويصعب علي الآخر إنكارها، وإذا تشكك فيها فقد أعلن عن إفلاسه.

---

(١) سورة سبأ الآية (٢٤).

(٢) الشيخ/ زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القــرآن" ج١ ص٤٦٦، تحقيق الشيخ/ محمد علي الصابوني، ط دار القــرآن الكــريم، بيــروت، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

(٣) سورة سبأ الآية (٢٤).

(٤) الشيخ/ زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القــرآن" ج١ ص٤٦٦.

غير خاف أن التشكيك المشروع يقوم به الأنبياء والمرسلون مع أممهم، وقد بان موقف خليل الرحمن، وساقت آيات القرآن الكريم كثيراً من هذا في حجاج منكري النبوات، يدل عليه ظاهر قوله تعالي في قصة محاج إبراهيم (عليه السلام)، قال تعالي:﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**﴾[1].

فدل الأمر علي أن إبراهيم الخليل شكك محاجة فيما يظنه من كونه إلهاً يحيي ويميت، أو بأن الشمس تأتي من المشرق إلي المغرب، فلما بان للمحاج الشاك أنه قد أخطأ خرج من المسالمة إلي المقاتلة، قال تعالي: ﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2] .

قال العلامة الألوسي (١٨٠٢/١٨٥٤م) فبهت الذي كفر "وصار مغلوبا منقطعا عن الكلام متحيرا لاستيلاء الحجة عليه، فغلبه إبراهيم (عليه السلام) وأسكته"[3]، وهو دليل علي أن التشكيك المشروع قد آتي ثماره وتحققت معه النتائج المرجوة.

ومنه ما دار بين موسي الكليم وفرعون اللئيم حين جاءه يطلب منه تعبيد بني إسرائيل لله رب العالمين، فخاطبه بالرسالة، إلا أن فرعون قال ما حكاه القرآن الكريم: ﴿**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾[4]، ثم وجه خطابه لنبي الله موسي بن عمران جاءت لغته تهديدا واضحا لحياة موسي وحريته، وقد صور القرآن الكريم هذا

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٨).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٨).

(٣) العلامة أبو الثناء محمود بن عبد الله بن محمود شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المجلد ٢، ص٦٠٩، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، ط١، دار الغد العربي القاهرة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٤) سورة النازعات الآية (٢٤).

في قوله جل شأنه: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾(١)، إلا أن موسي (عليه السلام) قد شكك فرعون في كل ما يدعيه، أو يزعمه ثم جاءت نهايته في قوله جل شأنه: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾(٢).

ثم إن التشكيك المشروع قد مارسه سيدنا محمد (ﷺ) في الذين بعث فيهم، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، فجاء القرآن الكريم أعلي من فصاحتهم وبلاغتهم وتبيانهم وتحداهم إن كانوا قادرين علي الإتيان بمثله، وما زال التحدي قائماً إلي يوم القيامة، قال تعالي: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾(٣).

كما شككهم في قدراتهم اللغوية والبلاغية حين تحداهم الإتيان بمثل عشر سور من القرآن الكريم، ثم تحداهم الإتيان بمثل أقصر سورة من سور القرآن الكريم، بحيث يكون المؤتي به غاية في البلاغة والإعجاز، لكنهم تشككوا في قدراتهم وبان عجزهم، وهو تشكيك مشروع يراد به بيان الحق والدفاع عن دين الله، ولا يخفي أن معني التشكيك في الجملة هنا يدور حول أمرين:

<u>الأمر الأول</u>: هو أن الرسول (ﷺ) صادق لا محالة، وأنه مبعوث من الله تعالي مؤيد من جهته، داع إلي الخير، أمر بالمعروف، ناه عن المنكر، وهو علي هدي.

<u>الأمر الثاني</u>: أن غيره كاذب لا محالة، فهم ينسبون الرزق لغير الرازق، والنعمة لغير المنعم، ثم يتوجهون بالعبادة لمن لا يستحق، وكان الأولي، بل الواجب أن يكون أمر عبادتهم متجهاً إلي الاعتقاد في الإله الواحد، وصدق نبوة النبي الخاتم (ﷺ).

---

(١) سورة الشعراء الآية (٢٩).

(٢) سورة النازعات، الآيتان (٢٥-٢٦).

(٣) سورة الطور الآية (٣٤).

الثاني: التشكيك الغير مشروع:

التشكيك الغير المشروع هو الذي يتعرض لأصول العقيدة الإلهية، ودلائل التكليف بالتكذيب لها، والخروج عليها، واستحلال ذلك علي وجه يقيني، وصرح الإمام الفخر بأن الكفر هو: "إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول (ﷺ) به"[١]، ومن ثم فهو غير مشروع بالاعتبارات المختلفة، وقد دل عليه أهل العلم بدلائلهم التي تنتهي بصاحب التشكيك الغير المشروع إلي الخروج عن دائرة الإيمان، أما لماذا؟.

فلأنه "قد تقرر في عقل كل عاقل وجوب دفع الضرر عن النفس[٢]، وثبت أن ما يدعو إلي الواجب ويصرف عن القبيح أنه واجب لا محالة، وما يصرف عن الواجب ويدعو إلي القبيح فهو قبيح لا محالة[٣].

ومن المؤكد أن التشكيك المشروع هو الذي يقوم علي وجوب دفع الضرر عن النفس وثبت أن هذا النوع من التشكيك يدعو إلي الواجب ويصرف عن القبيح، ومن كان ذلك شأنه فهو واجب لا محالة.

أما التشكيك الغير مشروع فإنه يصرف عن الواجب، ويدعو إلي القبيح والمعلوم أن كل ما يصرف عن الواجب ويدعو إلي القبيح فهو قبيح متي توجه المرء العاقل إليه.

---

(١) العلامة الفخر الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص٢٠٤، وبذيله تلخيص المحصل للطوسي، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) هذا الوجوب تحكم به الفطرة السليمة، لأن من اعتقد أن أمرا ما يلحق الضرر به فأنه يسعى إلى دفعه، بحيث يطلب لنفسه السلامة، وذلك مما تشهد به الفطرة السليمة، المشار إليها بقوله تعالي: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾

(٣) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٥٦٤، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩م.

ذكر العلامة السعد أن التشكيك الغير المشروع هو "عدم تصديق النبــي (ﷺ) فيما علم مجيئه بالضرورة"[١]، ومن ثم فمن تشكك فــي وجــود الله تعــالي، أو وحدانيته، أو نسب إليه جل شأنه ما لا يليق به، أو تشكك في ما جاء مــن عنــد الله في كتابه وسنة رسوله، أو تشكك في الإيمان والإسلام، أو القضاء والقــدر، أو الملائكة والكتب، أو تشكيك في النبوة الخاتمة بسيدنا محمد (ﷺ) فهو التشكيك الغير مشروع، وهو الخطر الذي لا يرجي من ورائه سوي الجحيم.

وبإنزال هذه القاعدة إلي مجال التطبيق يتبن أن من يُشكك في المعلــوم مــن الدين بالضرورة فعله قبيح، وأمره غير مقبول، يستوي في ذلك حكم العقــل[٢]، وحكم الشرع[٣]، وحكم العادة[٤]؛ ومن يجادل في البدهيات لا يُستمع إليه.

نبه أبو بكر بن العربي (٤٦٨-٥٤٨هــ) إلي أن التشكيك الغير المــشروع، هو الذي يقوم به من ليسوا من أهل الفهم، وإنما هم من أهل الابتداع الــذين إذا لم يفهموا ما ورد عن الله كذبوه، وأنهم لما "لم يفهموا تلك الأغراض الإلهية بما استولي علي قلوبهم من صدأ الباطل، طفقوا يهزءون من العبــادات الــشرعية، ويطعنون في تلك الدلالات، وينسبون قائلها إلي الجهــالات، ويــضحكون مــع أقرانهم في الخلوات"[٥].

---

(١) السعد التفتازاني، شرح المقاصد، ج٢، ص٢٦٧، ط محرم أفندي البوسنوي.

(٢) أحكام العقل الصحيح ثلاثة هي: ١- الواجب ٢- والمستحيل ٣- والممكن.

(٣) أحكام الشرع خمسة هي: ١-الحلال ٢- المباح ٣- المندوب ٤- المكروه ٥- الحرام.

(٤) ذكر الفقهاء أن العادة محكمة، العلامة جلال الدين السيوطي النظائر والأشباه في فــروع فقه الشافعية، ص٢٣٧، مكتبة المتنبي القاهرة.

(٥) العلامة القاضي الفقيه أبو بكر بن محمد بن العربي المالكي، العواصم مــن القواصــم، ص٩٣، تحقيق: مركز الأنصار للتحقيق والبحــث العلمــي، مكتبــة الأنــصار، ط١، ١٤٢٧هــ/٢٠٠٦م.

ومن التشكيك الغير مشروع ما ذهب إليه خصوم الإسلام قديماً وحديثاً حيث ذكروا أن الرسول (ﷺ) لم يكن مبعوثاً من الله، وأنه في اعتكافه بغار حراء قبل البعثة إنما كان "يتفادى حر مكة، شأن الذين لا يملكون القدرة علي الذهاب للطائف"[1].

من المؤكد أن الذين حرموا نعمة الفهم لكتاب الله تعالي، وسنة رسوله (ﷺ) سوف يشككون في كل ما ورد عن الله جل علاه في الكتاب المنزل، وصحيح السنة المباركة، وقد نبه القرآن الكريم إلي هذا في آيات منها:

قوله جل شأنه: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[2]، ومحل الشاهد أن أصحاب التشكيك الغير المشروع هم من جملة السفهاء الذين يطعنون في كل صحيح مشروع بما استولي علي قلوبهم من باطل وجهالة، واعتبروا أنفسهم عقلاء يملكون حق القول في كل شيء مع أنهم يجهلون كل شيء.

يقول الشيخ الصاوي: "زعم اليهود والنصارى أن إبراهيم والأنبياء معه كانوا يهوداً ونصارى، وقد كانت قبلة الأنبياء بيت المقدس وكان صلوات الله عليه وهو بمكة يستقبل بيت المقدس، فلما أُمر (ﷺ) بالتوجه إِلى الكعبة المشرّفة طعن اليهود في رسالته واتخذوا ذلك ذريعة للنيل من الإِسلام، وقالوا: لقد اشتاق محمد إِلى مولده، وعن قريب يرجع إِلى دين قومه، فأخبر الله رسوله الكريم بما سيقوله السفهاء، ولقّنه الحجة الدامغة ليردّ عليهم، ويوطّن نفسه علي تحمل

---

(١) د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، افتراءات المستشرقين علي الإسلام عرض ونقد، ص٧، مكتبة وهبه، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٢).

الأذى منهم عند مفاجأة المكروه، وكان هذا الإخبار قبل تحويل القبلة معجزة لـــه (عليه السلام)"[1].

ومن المؤكد أن هذا التشكيك الغير مشروع خطر داهم يترتب عليـــه إنكـــار الأصول الشرعية، والخروج علي أحكام الشريعة الإلهية، بحيث يتحول الـــدين والشريعة إلي أعمال شخصية، إن راقت لمن بأيديهم أخـــذوها، وإن لـــم تـــرق تركوها، فيصير الدين الإلهي دين أهواء وأمزجة، وذلك خروج علـــي شـــريعة الله، والتماس لشريعة الباطل، وأحكام الهوى.

لقد تحدث القرآن الكريم عن التشكيك الغير مشروع، مبينـــا الوســـائل التـــي يعتمد عليها أصحابه، قال تعالي: **{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَـــادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُـــلُهُم بِالْبَيِّنَـــاتِ فَـــرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَـــدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ}**[2] لقد سخر هؤلاء من الأنبياء حملة الوحي الإلهـــي، فلـــم يقبلـــوا نصحهم، بل أشاروا إليهم بالسكوت، ثم ردوا أيديهم في أفواههم، وأعلنوا أمـــور ثلاثة:

الأمر الأول: عدم الإصغاء إلي المرسلين، فردوا أيديهم في أفواههم.

الأمر الثاني: إعلان اكفرهم، وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به.

الأمر الثالث: أننا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب[3].

---

(١) الشيخ/ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد الأول، ص٨٩.

(٢) سورة إبراهيم الآية (٩).

(٣) هذه الأمور الثلاثة دليل علي التشكيك الغير مشروع، يمارسه أعداء الله تعالي منذ زمن بعيد، ذلك واضح في الآيات القرآنية.

قال تعالي: **{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}**(١).

قال الفخر الرازي: "اعلم أن أولئك الكفار لما قالوا للرسل، وأنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب، قالت رسلهم، وهل تشكون في الله، وفي كونه فاطر السماوات والأرض، وفاطر الأنفس، وأرواحنا وأرزاقنا، وجميع مصالحنا، وأنا لا ندعوكم الا إلي عبادة الإله المنعم، ولا نمنعكم إلا عن عبادة غيره، وهذه المعاني يشهد صريح العقل بصحتها، فكيف قلتم، وأنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب"(٢).

كما أن التشكيك الغير المشروع يعمل علي إزاحة الأصول الإيمانية مستخدماً اللغة أداة تمكن له من الوسيلة، ومن أبرز وسائله التأويل الفاسد للنصوص القطعية في ورودها ودلالتها من غير معرفة بقانون التأويل، هو فعل محرم، وعمل مؤثم، فالبضاعة من جنسها، والأسباب هي طبعها.

من ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن أمم الفاسدين الذين شككوا في الله تعالي وكفروا به، قال تعالي: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾(٣)، وهو التشكيك الغير مشروع أما لماذا؟.

---

(١) سورة إبراهيم الآية (١٠).

(٢) الإمام/ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد التاسع، ج١٧، ص٢٩٧، دار الفكر العربي.

(٣) سورة إبراهيم الآية (١٠).

فلأنه يعمد إلي إنكار وجود الله، والتكذيب به، وإنكار ما جاء من عنده، والتكذيب به أيضاً[١]، قال الزمخشري: "يدل عليه هذا الإستدراك الذي وقف منه الرسل موقف القوة، قالت رسلهم أفي وجود الله ووحدانيته شك، والاستفهام هنا قصد به الإنكار والتوبيخ؛ لأنه لا يحتمل الشك، نظراً لظهور الأدلة، ولهذا لفت الأنبياء انتباه هؤلاء إلي براهين وجوده"[٢]، تعالي وهي لا تخفي.

ومعلوم أن فاطر السماوات والأرض هو الله تعالي، وهو خالقهما ومبدعهما علي غير مثال سابق، وهو وحده الذي يدعو إلي الإيمان به، حتى يغفر الذنوب ويمتعهم إن آمنوا، ولم يعاجلهم بالعقاب.

ربط الإمام النسفي الماتريدي بين الاعتراض والجواب، فذكر "أن أصحاب التشكيك الغير مشروع أعلنوا للأنبياء والمرسلين الكفر الصريح لكل ما جاءوا به، كما أعلنوا أنهم في شك مريب بين الإيمان بالله والتوحيد، فجاء جواب الرسل إليهم أفي الله شك، لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه مع أنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم وإنا لفي شك"[٣].

غير أن أصحاب التشكيك الغير المشروع لم يقفوا عند حد الإنكار لوجود الله تعالي، وإنما مارسوا أنواعا أخري من صور التكذيب في المرسلين أيضا حين

---

(١) هذه الوجوه للتكذيب يمكن تفصيلها، فالتكذيب الأول: قام علي إنكار وجود الله، والتكذيب الثاني: قام علي انكار ما جاء من عند الله، والتكذيب الثالث: انصب علي إنكار ما جاءت به النصوص الواردة أحكامها من الله تعالي.

(٢) الإمام/ الزمخشري "الكشاف" المجلد الثاني، ص٥٤٤.

(٣) أبو البركات عبد الله بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٢، ص ٢٧٠، مطبوعات مكتب ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.

قالوا لهم أتريدون أن تصرفونا عن عبادة الأوثان، وقد كان عليها آباؤنا[١]، فأتوا بحجة ظاهرة علي صدقكم، قال الإمام النسفي: "فأتونا بحجة بينة، وقد جاءتهم رسلهم بالبينات، وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا، ثم إن الإتيان بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا، وإنما هو أمر متعلق بمشيئة الله تعالي"[٢].

وبناء عليه كان هؤلاء المكذبون ممن سعوا إلي توطيد التشكيك في الرسل باعتبارهم بشرا، والتشكيك في باعث الرسل وهو الله تعالي رب العالمين، والتشكيك في كل ما جاء به الرسل من حيث إنهم يبلغون عن الله، بل والتشكيك في جميع الأصول الثابتة، والقواعد القائمة من الاعتقادات، وصحيح العبادات باعتبارها واردة عن الله تعالي.

كما أن التشكيك الغير المشروع تناول الذات الأقدس جل علاه، كما تناول صفاته، وأفعاله، مع أنه ليس كمثله شيء[٣]، ومن هنا كانت وسائلهم ومناهجهم وغايتهم كلها موصلة إلي الإلحاد في الله تعالي، وآياته، وكل ما جاء من عنده

---

(١) حجة الظالمين والمكذبين دائما الاعتداد بالأساطير، والإرتكان إلي التقليد من غير دليل قال تعالي: **{وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ}** سورة الزخرف الآيات (٢٠-٢٣)

(٢) الإمام/ النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٢، ص٢٧٠.

(٣) تناول المتكلمون من الأشاعرة وغيرهم جانب التنزيهات لله رب العالمين بكثير من العناية فنفوا عن الله تعالي الجسمية والمكان وغيرها. راجع للسيد الشريف الجرجاني، شرح المواقف، المجلد الرابع، ج٢، ص٢٢-٤٤، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

جل علاه، لقد دلت آيات القرآن الكريم علي تشكيك هؤلاء في الذات الأقدس جل علاه، وصفاته حتى وصفوه بالفقر، واعتبروا أنفسهم من أهل الثراء والغني، قال تعالي: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[1].

ووصفوه جل شأنه بالبخل وإمساك اليد مع أنه تعالي أكرم الأكرمين: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[2].

كما تناولوا التشكيك في الرسالة الخاتمة سواء من ناحية النبي سيدنا محمد (ﷺ) أم من ناحية مصدر الرسالة، أم تشككوا في أصل النبوة وعمومها وختمها، وذلك كله من ملامح التشكيك الغير المشروع.

وجاءت أمثلته في القرآن الكريم كثيراً علي نواح متعددة، وكل نبي كان خصومه يقدمون التشكيك الغير المشروع ضمن أسلحتهم التي يهاجمون بها رسل الله بغية النيل منهم.

لقد شككوا في أنبياء الله واتهموهم في عقولهم من ذلك موقفهم من نبي الله شعيب، حيث بعثه الله نبياً، إلي أهل مدين قال تعالي: **{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}**[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨١).

(٢) سورة المائدة الآية (٦٤).

(٣) سورة الأعراف الآية (٨٥)، وإلي أصحاب الأيكة قال تعالي: **{كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا=**

فقالوا له ما حكاه القرآن الكريم: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾[1]، ذكر الإمام النسفي أن قوم شعيب (عليه السلام) بمدين أعلنوا كفرهم به، وتشككوا في كل ما يأتيهم به، "وابتدأوا بقولهم لا نفهم صحة ما تقول، مع أنه خطيب الأنبياء، ولا قوة لك، ولا عز فيما بيننا، فلا تقدر علي الامتناع منا إن أردنا بكم مكروها، ولولا عشيرتك لقتلناك شر قتلة"[2].

قال الإمام الفخر: "إن شعيباً أمرهم بشيئين، بالتوحيد وترك البخس، فأنكروا عليه أمره بهذين النوعين من الطاعة، فقوله تعالي "إن نترك ما يعبد آباؤنا" إشارة إلي أنه أمرهم بالتوحيد، وقوله تعالي: "أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء" إشارة إلي أنه أمرهم بترك البخس"[3]، فأنظر كيف تعاملوا معه أولا، ووصفوه بأنه الحليم الرشيد في قوله تعالي:**{قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}**[4]، ثم شككوه في نفسه، ولم يسمع إليهم، وأخير شككوا الناس فيه، فلم يستجيبوا لهم لأن ما قالوه في نبي الله شعيبًا اليوم يتنافى مع ما سبق أن قالوا فيه، وأنطقهم الله تعالي به.

=**أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ}.**

(١) سورة هود الآية (٩١).

(٢) العلامة النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٢، ص٢١٤.

(٣) الفخر الرازي "مفاتيح الغيب" المجلد الثاني، الجزء١٦، ص٥٩٤.

(٤) سورة هود الآية (٨٧).

قال العلامة الصابوني (ت٥٨٠هـ) "لابد للرسول من معان يختص بها عن غيره، فيصير بها أهلا للسفارة بين الله تعالي وبين خلقه، فمن ذلك أن يكون أن يكون أعقل من أهل عصره، وأحسنهم خلقا ولا يكون موصوفا بصفات تخل بأداء الرسالة"[١]، ومن ثم فأن وصف نبي الله شعيبًا بعدم القدرة علي الفهم والتفهيم، نوع من التشكيك فيه، وهو مردود علي أصحاب التشكيك أنفسهم.

انظر إلي ما يقوله الإمام ابن خمير السبتى (ت٦١٤هـ) الأشعري عن الأنبياء المرسلين "إن القوم كبار المقربين، ورؤساء العارفين، وأنهم أهل الحضرة القائمون في نطاق الخدمة، القاعدون علي بساط القرب، وهم مع ذلك أهل المنازلات والمشاهدات، ومن كانت هذه حالته أن يطلب بالفترات والغفلات، ودقيق اللحظات، حتى تكون حسنات الأبرار سيئات المقربين"[٢].

قال الإمام الألوسي: "جعلوا كلام شعيب المشتمل علي فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل التخليط والهذيان الذي لا يفهم معناه، ولا يدرك فحواه، مع أنه كما ورد في الحديث الشريف خطيب الأنبياء[٣].

ومن المؤكد أن التشكيك غير المشروع إنما يقع علي المشكك لا علي ما قصده، من حيث إن النبي معصوم بعصمة الله له، ومرسل من قبل الله الذي بعثه، فموقفه ليس محلاً للتشكيك، إن الله صنعه علي عينه، واختاره لنفسه، وكل نبي من أنبياء الله هذا شأنه، لكن أصحاب التشكيل غير المشروع يتجاهلون الحقائق الثابتة.

---

(١) الشيخ الإمام/ محمد نور الدين الصابوني، الكفاية في الهداية، ص٩٥، تحقيق د. فتح الله خليفة، دار المعارف، مصر ١٩٦٩م.

(٢) الإمام/ ابن خمير السبتي، مقدمات المراشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين، ص٢٥٩، تحقيق د. أحمد السايح، المستشار توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية ط١، القاهرة.

(٣) الإمام/ الألوسي روح المعاني، ج١٢، ص١٢٣.

قال ابن عباس: "إن قوم شعيب ورهطه كانوا أعز عليهم من الله وصغر شأن الله عندهم عز ربنا وجل ثناؤه"(١)، وإن تعجب من أصحاب التشكيك الغير مشروع فلن تجد عجباً أكثر من أن تحيق بهم المصائب، وتحيطهم من كل جانب وذلك شأن كل مفتر كاذب.

كذلك شككوا في سيدنا محمد (ﷺ) ولم يتركوا جانباً إلا طعنوا فيه، وبذلوا جهودهم حتى ينالوا منه لكن فسدت حيلهم وضاعت شبههم، والله وعد رسله بالنصرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ومعهم أهل الإيمان، قال تعالي: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾(٢)، وسوف أتناول موقف أصحاب التشكيك الغير مشروع من سيدنا محمد (ﷺ) عرضا ومناقشة حتى يكون الجانب التطبيقي في هذا البحث.

---

(١) الإمام/ الطبري جامع البيان ج١٢، ص١٠٦.

(٢) سورة غافر الآية (٥١).

الفصل الثالث

- الجـانب التطبيـقي.
- خطر التشكيك في سيدنا رسول الله (ﷺ).

تمهيد

سلف الحديث عن كل من القواعد والضوابط المستعملة في دراسة ما يتعلق بالتشكيك المشروع ونتائجه، وبان أنه منهج يبتدئ من المقدمات، ثم ينتهي إلي النتائج[1].

وتناولت ما يتعلق بالتشكيك الغير مشروع، وذكرت صورة واضحة فيما قام به هؤلاء ضد أنبياء الله تعالي ورسله، وحاولت التركيز علي التقاط بعض جوانبه من خلال موقفهم الذي قصه القرآن الكريم، في الأمم السابقة[2]، وبخاصة نبي الله شعيب خطيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

بيد أني نوهت إلي أن الفصل الثالث- الجانب التطبيقي- سيكون حول خطر التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة وهو سيدنا محمد (ﷺ) حينئذ أكون قد وصلت إلي الغاية وهي الدفاع عن دين الله رب العالمين، ونبي الإسلام سيدنا محمد (ﷺ) وكتاب القرآن الكريم لأن دفع وجوه التشكيك الغير مشروع في وجوه أصحابها لابد أن يكون شاملا أصول دين الإسلام دين الله المرتضي للعالمين.

لقد عمد المشككون في نبوة سيدنا محمد (ﷺ) إلي إنكار وجوده، وزعموا أنه شخصية أسطورية تاريخية، بمعني أنه لم يكن له وجود فعلي، وإنما كل ما حكي عنه (ﷺ) روايات أدخلها العرب لينالوا بها حظوة علي غيرهم من أصحاب الديانات الكبرى كاليهودية والنصرانية وغيرهما.

---

(١) هذا التشكيك منهج علمي يقوم به المرسلون في أممهم، وفيه توجيه إلي تلك الأمم حتي يهتدوا إلي الحق الذي شرعه الله.

(٢) في القرآن الكريم كثير من آياته، حتى يعلم الناس جميعا أن الأنبياء والمرسلين كانوا حائط الصد في مواجهة هؤلاء المشككين.

وهو تشكيك ليس له ما يبرره، بل كل الشواهد دالة علي حقيقة واحـدة هـي أنه (ﷺ) رسول الله للعالمين، وأنه ولد صبيحة الاثنين من شـهر ربيـع الأول الموافق الثاني والعشرين من شهر أبريل عام (٥٧١م)، من أب وأم معـروفين في العرب ونسب هو أعلي أنسابهم، ومن أرقي بطونها، وأزكي قبائلها، وأنه (ﷺ) بعث للإنس والجن، إرسال تكليف، ولغيرهما إرسالا علي وجوه متنوعة.

قال العلامة الشرقاوي (ت٨٩٥): "أرسل الله تعالي سيدنا محمدا (ﷺ) لجميع الطوائف حتى الجمادات فأمنت به فصارت أمنة، وهو مرسل إلي الأنس والجن إرسال تكليف ولغيرهما إرسال تشريف يثبت به شرفه (ﷺ) علي جميع الخلـق فيكون له السيادة عليهم"[١]، وهو (ﷺ) درة تاج الأنبياء.

كيف لا وهو (ﷺ) "مفزع الخلائق وناصرهم في دار الدنيا، لما بين لهم مـن طرق النجاة، وعلمهم أنواع الهدايات حتى تركهم على المحجة البيضاء التـي لا غبار عليها، وهو مفزعهم وناصرهم في الآخرة، حيث يفزعون إليه مـن شـدة الهول الحاصل لهم في الموقف فيشفع لهم الشفاعة العظمي"[٢].

وبالتالي فقصة إنكار وجوده إنما هي خيال من خيالات الملحدين، ولن ألتفت إليها إلا بقدر ضئيل؛ لأن زاعم ذلك منكر لبداهة، ومن ينكر البداهـة لا يـصح الالتفات إليه[٣].

(١) الشيخ/ عبدالله الشرقاوي، حاشية الشرقاوي علي الهدهدي، ص٨، ط دار إحياء الكتـب العربية، عيسي الحلبي، وبهامشه شرح الإمام/ الهدهدي علي السنوسية.

(٢) الشيخ/ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، حاشية علـي شـرح أم البـراهين، ص١٠، ط الحلبي الأخيرة ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م.

(٣) أكثر من تناول هذه المسألة في العصر الحديث دائرتا المعارف الإسلامية والبريطانيـة ومن دار في فلكهما، ومن ثم فسأركز علي بعض جوانب تشكيكهم عرضـا ومناقـشة، ومن سار معهما

غير أني سأتناول بعض جهات تشكيكهم في شخصية الرسول (ﷺ) وصفاته، ثم أبين فساد تشكيكهم وذلك علي النحو التالي:-

أولا: ما يتعلق بوجوده (ﷺ):

زعم المشككون أن الرسول (ﷺ) شخصه تاريخية أسطورية، وأن الذي أقام تلك الشخصية هم العرب حتى يتميزوا عن غيرهم من الأمم[1]، ثم جاء بعدهم من ردد تلك التشكيكات وعاش عليها[2]، ثم أخد في الإضافة إليها من شطحات خياله ويتحمل المسؤولية عن عمله.

البين أن الرسول (ﷺ) شخصية حقيقية، وإلا فلماذا يعمد الآخرون إلي إنكار وجوده (ﷺ)، فهل لو أن الرسول (ﷺ) شخصية تاريخية أسطورية يكون له من هذا الذكر الطيب ما يغطى مؤلفات كثيرة جاءت كلها حديثا عنه، ووصفا له.

١- شهادة الله تعالي له في القرآن الكريم:

قال تعالي: **{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ}**[3]، ومحل الشاهد أن جميع الأنبياء والمرسلين ممن جاء ذكرهم في القرآن الكريم قد كانوا أشخاصًا حقيقين، وبعثوا في أمم كان لها وجود حقيقي،

---

(١) يعتبر بلاشير المستشرق الفرنسي من أكثر الذين تعرضوا لهذا الجانب في العصر الحديث، وقد حاول ومن معه التأكيد علي أن شخصية الرسول (ﷺ) من اختراع العرب. راجع أ. محمد السيد سلامة، الفكر الاستشراقي وخطورته، ج١ ص١١٨، ط المكتب العربي، ١٩٦٥م.

(٢) كثير أولئك الذين يعيشون علي الأوهام والخرافات، ويبلغون فيها درجة العشق الجاهل فيقعون في سيدنا محمد (ﷺ) حبيب الرحمن، عظيم الشأن المبعوث للثقلين وكل من كان، وييسر الله تعالي من يرد عليهم سخافاتهم ويضربهم بها في وجوههم.

(٣) سورة آل عمران الآية (١٤٤).

والرسول (ﷺ) قد ذكر معهم؛ فدل الأمر علي أنه (ﷺ) كان له وجود حقيقي، وأنه قد أخبر عن هذا الوجود الحقيقي من قبل أن يكون نطفة، وذلك مما نطقت به نصوص السنة المطهرة.

٢- شهادة السنة الصحيحة المطهرة:

أورد البخاري في صحيحه عن أبي هريرة (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: "بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه"(١) والواضح أن رسول الله (ﷺ) قد اختاره الله واصطفاه منذ خلق الله آدم وذريته في عالم الذر، ومادام الرسول (ﷺ) قد بلغ عالم الذر حيث كان الله، وكان خلقه في علمه، وخليقته في قضائه وقدره، فمن المؤكد أن الرسول (ﷺ) كان له وجود فعلى، منكره والمشكك فيه إنما ينكر معلوما من الدين بالضرورة، ويترتب عليه خطر عظيم

٣- شهادة الكتب السالفة:

لقد شهدت له (ﷺ) الكتب السابقة من التوراة والإنجيل في عبارات صريحة واضحة الدلالة قال تعالي: **{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}**(٢)، ومحل الشاهد أن التصديق بالتوراة وموسي، والإنجيل وعيسي يستلزم التصديق بوجود سيدنا محمد (ﷺ)، وأنه شخصية حقيقية، له وجود فعلي في الدنيا والآخرة، ومن ثم فسأكتفي بما ذكرت في هذا الجانب، لأنه لا يقول به عاقل، ولا يستحق شيئا من الاهتمام.

---

(١) الإمام/ البخاري، صحيح البخاري، ج٤، باب صفة النبي، ص١٨٩، رقم الحديث (٣٥٥٧) تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة.

(٢) سورة الصف الآية (٦).

ثانيا: ما يتعلق بعقله (ﷺ):

١- تزكية عقل الرسول (ﷺ):

شهدت آيات القرآن الكريم أن الله تعالي زكي عقل سيدنا محمد (ﷺ) وأنه أعلي العقول وأتمها، وزكاه ربه في عقله فقال: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى**﴾[١]، في هذا إشارة واضحة الدلالة علي أن عقل الرسول (ﷺ) قد زكاه ربه فجعل كل شيء فيه مما يتعلق بالنبوة والرسالة مصدره الوحي الإلهي، وما سواه فإنما رباه الله تعالي علي عينه، واصطفاه بعنايته.

بل ما من عاقل إلا وهو علي يقين من أن الله تعالي خلق عقل النبي محمد (ﷺ) لا يقبل إلا الموحى به، ولا يستجيب إلا لما جاء به من عند ربه وهو العصمة، وكأن الله تعالي قال له: ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي** ﴾[٢]، وقال له: ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾[٣].

ثم إن الرسول (ﷺ) زكي الله عقله، وشهد القرآن الكريم له في قوله جل شأنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٤]، وجه الدلالة أن من كان علي خلق عظيم لابد أن يكون عقله علي أعلي مستوي من الوعي والفهم والمعرفة بالله رب العالمين، وإلا كيف يكون علي خلق عظيم، وعقله ليس كذلك[٥].

---

(١) سورة النجم الآيتان (٣-٤).

(٢) سورة طه الآية (٣٩).

(٣) سورة طه الآية (٤١).

(٤) سورة القلم الآية (٤).

(٥) اجتهد علماء المسلمين في بيان هذا الجانب من عقل الرسول (ﷺ) في مؤلفات كثيرة تناولت أوصاف الرسول (ﷺ)، وما تمتع به عقله الكريم المبارك. من ذلك الخصائص النبوية الكبرى للإمام/ السيوطي، والجامع لأوصاف الرسول للعلامة ابن العاقولي.

ثم إن عقله (ﷺ) لم يتشكك فيه أحد من قبل، وإنما الذي تــولي كبــره هــم المستشرقون، وبخاصة بلاشير الذي أجهد عقله، وعقل من تبعه في هذا الجانب من التشكيك في كل ما يتعلق بالرسول الكريم (ﷺ)، باعتباره المتلقــي عــن الله من خلال الوسيط، وهو جبريل، وقد رد القرآن الكريم عليهم في هــذا الــسياق ردوداً مطولة سأتناولها في حينها إن شاء الله تعالي.

وهذه طريقة المشككين في المعلوم من الدين بالضرورة، وقد مارسوها علي جميع الأنبياء والمرسلين بغية صرف الناس عنهم ظنا منهم أنهم إن أصــابوهم في عقولهم انصرف الناس عنهم قال تعالي: **{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّــن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ فَتَوَلَّ عَــنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}**[1].

أجل كان مشركوا العرب يعلنون أن الرسول (ﷺ) قبل إعلان النبوة والرسالة أعلي العقول وأرجحها، حتى حكموه في قضاياهم، واستمعوا إليه، وساروا علي قضائه، فلما أعلن أنه نبي ورسول من عند الله (ﷺ) عكسوا الأمــر، واتهمــوه بالجنون، قال تعالي حاكيا عنهم: **{وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْــهِ الــذِّكْرُ إِنَّــكَ لَمَجْنُونٌ}**[2]، والله (ﷻ) دفع ذلك كله عنه في قوله تعالي: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَــى خُلُــقٍ عَظِيمٍ﴾**[3].

جاء أصحاب التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة ليعيدوا ذكر ما سلف، معتمدين علي ما ذكر في بعض كتب السيرة النبوية علي صيغة قيل ويقــال[4]،

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٢-٥٥).

(٢) سورة الحجر الآية (٦).

(٣) سورة القلم الآية (٤).

(٤) من أكثر الكتب التي تنقل الإسرائيليات ما نسب للواقدي، وطبقات ابن سعد، وغيرهمــا وكثير منها غير معتمدة عند أصحاب السير.

والتي اعتمدوا عليها ما هي إلا مؤلفات غير موثقة عند أصحاب الرأي والخبرة، ثم يقتطعون بعض النصوص من سياقاتها، ويعيدون وضعها في مواطن أخري حتى تنال القبول، وما هي إلا السم في العسل.

من المؤكد أن المشركين بعد البعثة أخذوا يقولون أن عقل الرسول (ﷺ) ليس كعقولهم، وإنما أصابه شيء من جنون لم يُعهد علي ما عهده الناس في غيره.

قال الشيخ الصابوني: "إن كفار قريش قالوا لسيدنا محمد (ﷺ) على جهة الاستهزاء والتهكم: يا من تزعم وتدعي أن القرآن نزل عليك، إنك حقاً لمجنون، وأكّدوا الخبر بـإنَّ واللام مبالغة في الاستخفاف والاستهزاء بمقامه الشريف (ﷺ)، وقالوا له: هلاّ جئتنا بالملائكة لتشهد لك بالرسالة إن كنت صادقاً في دعواك أنك رسول الله!!"(١).

لقد رد الله تعالي عليهم، وأبطل شبهاتهم فقال (ﷻ) :**{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ}**(٢)، ثم بين (ﷻ) أن عقل النبي محمد (ﷺ) متميز عن عقول غيره، فهو أمي ومع ذلك يحفظ ما أنزل إليه عن طريق الوحي من غير مراجعة فيه.

غير أن المستشرقين والحداثيين والمستغربين وأهل الجهالة أجمعين ومن يجري مجراهم اعتبروا هذه المسائل القديمة المردود عليها –وصف الرسول عليه (ﷺ) بالجنون والرد عليها– مسائل حديثة يجب التعويل عليها، وراحوا يعيدونها ويطيلون القول فيها، ويكثرون الحديث عن جوانبها بغية أن ينالوا من الرسول (ﷺ)، وينالوا من عموم الرسالة، وهما من الغايات التي يبذلون جهودهم بشأنها، ولن يتمكنوا إن شاء الله رب العالمين.

---

(١) الشيخ/ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص٩٨.

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٩).

٢- مسألة فتور الوحي:

لقد اقتطع المتشككون من بعض الكتب التي تتناول السيرة النبوية في مسألة انقطاع الوحي، وسعي الرسول (ﷺ) بين الجبال والوهاد بغرض مقابلة ملك الوحي، وذكروا أنه (ﷺ) فقد عقله الذي عاش به، ثم أضافوا إلي ذلك رغبته (ﷺ) في الانتحار[1]، لأنه (ﷺ) عجز عن إدراك غايته ولم يأته ملك الوحي كما ذكر لهم.

يمكن القول بأن ما ذكره المتشككون في سيدنا محمد (ﷺ) مجرد خيالات وأوهام، ولو حدث ذلك منه لشاع عنه، وكان مدخلاً للطعن في نبوته، وتلقفه مشركوا مكة وشنعوا به، وكان ذلك كفيلاً لديهم بالقضاء علي النبوة الخاتمة، لكن ذلك لم يحدث، بل وقفوا معه، وناصروه، واستشهدوا في سبيل أن يبقي الإسلام الدين الخاتم.

قرر ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) أن أهل العلم قسموا العلامات التي يستدل بها علي عقل العقلاء، وذكاء الأذكياء إلي قسمين:

القسم الأول: من حيث الصورة، قال الحكماء الخلق المعتدل، والبنية المتناسبة دليل علي العقل وجودة الفطنة، القسم الثاني: من حيث المعني والأحوال والأفعال، قالوا يستدل بها علي عقل العاقل بسكونه وسكوته وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة[2]، واذا طبقت تلك القواعد والعلامات في

---

(١) ما أكثر القول في هذه المسألة في وقتنا الحاضر، ومن هؤلاء جورج طرابيشي في كتابه المعجزة أو سبات العقل، أو نبي بلا معجزة، وقد سبقه إلي ذلك المستشرق الفرنسي بلاشير وكثير غيرهم، وحاولوا جميعاً الإضافة والتضليل بغية أن ينالوا من عقل الرسول (ﷺ)، ولن يمكنهم الله حتي يقوم الناس لرب العالمين.

(٢) الإمام، الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الأذكياء، ص٣٤-٣٥، تحقيق: أسامة عبد الكريم الرفاعي، ط١، مؤسسة مناهل العرفان بيروت، ١٤٥٠/١٩٨٥م.

دنيا الناس تري الصورة المثلي لها قد تم التعرف عليها من خلال السيرة النبوية للحبيب المصطفي (ﷺ).

أخرج الإمام البخاري في صحيحه ما نصه "فتر الوحي فترة حتى حزن النبي (ﷺ) فيما بلغنا حزنا عدا منه مرارا كي يتردى[١]، من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفي بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال يا محمد أنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك، فإذا أوفي بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك"[٢].

وقد فهم المسلمون جميعاً ألفاظ الحديث طبقاً لما تدلي به قواعد العربية التي يجيدونها، والمعني لديهم أن رسول الله (ﷺ) لما انقطع عنه الوحي أياما كان يذهب لملاقاته أملاً أن يلتقي به، ولذلك اجتهد رسول الله (ﷺ) في هذا الطريق الذي أعد نفسه إليه، وعرفت هذه المدة بمدة انقطاع الوحي، وقد استمرت أربعين يوما علي الراجح[٣]، لقد فهم أصحاب التشكيك واقنعوا أنفسهم بشيء غريب عن اللغة ومدلولاتها، وهو أن الرسول (ﷺ) قد أصيب في عقله، وأن الوحي قد انقطع عنه، ومن ثم فلا يصلح أن يكون نبيا.

---

(١) التردي الوارد هنا معناه الانتقال السريع في طريق الذهاب، كعادة المتعجل لأمر من الأمور، وكذلك في طريق العودة مع زيادة الحركة نظرا لشدة شوق النبي (ﷺ) لملاقاة سيدنا جبريل (عليه السلام).

(٢) الإمام/ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التعبير، باب أول ما بدء به رسول الله من الوحي الرؤية الصادقة، ج٢، ص٣٤.

(٣) ذُكرت أراء كثيرة في المدة ولكن الترجيح انتهي إلي أنها أربعين يوماً لا أكثر من ذلك نظرا لتعضيد الأسانيد التاريخية. د. محمود محمد زيادة "العرب وظهور الإسلام"، ص١٥٣، ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

لقد قرر أهل العلم في فهم الحديث أن الرسول (ﷺ) كان لا يغيب عن التردد علي غار حراء، والصعود إلي الجبال عله يري جبريل (عليه السلام)، وهو شأن المحب الوله الذي تعلق بأمر جليل، وموقف خليل، فظن الآخرون أنه (ﷺ) كان يقصد الهلاك، وليس الأمر كذلك.

قال العلامة ابن حجر: "كان انقطاع الوحي أياما ليذهب ما كان (ﷺ) وجده من الروع، وليحصل له التشوق إلي العود"[1]، فلما تقلصت ظلال الحيرة، وثبتت أعلام الحقيقة، وعرف (ﷺ) معرفة اليقين أنه أضحي نبيا لله الكبير المتعال، وأن ما جاءه من سفير الوحي ينقل إليه خبر السماء، "وصار تشوقه وارتفاعه لمجيء الوحي سببا في ثباته واحتماله عندما يعود إليه جبريل للمرة الثانية"[2].

ذكر الشيخ محمد الخضري إن شوق الرسول (ﷺ) في تلك الفترة كان يشتد عليه أملاً لقاء الوحي، "حتى صار كلّما أتى ذروة جبل بدا له الإسراع أكثر من ذي قبل، حذرا من قطيعة الله له بعد أن أراه نعمته الكبرى، وهي اختياره لأن يكون واسطة بينه وبين خلقه، فيتبدّى له الملك قائلا: أنت رسول الله حقا، فيطمئن خاطره، حتى أراد الله أن يظهر للوجود نور الدين فعاد إليه الوحي"[3].

وروي البخاري (رضي الله عنه) عن جابر بن عبد الله، أنه سمع رسول الله يتحدث عن فترة الوحي قال: "فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد علي كرسي بين السماء والأرض،

(١) الأمام أحمد بن محمد العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٢٧.

(٢) الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٨١-٨٢، دار الوفاء بالمنصورة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٣) الشيخ/ محمد الخضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ص٢٨، ط٥، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.

فجثيت منه حتى هويت إلي الأرض؛ فجئت أهلـي فقلـت زملـوني زملـوني، فزملوني فأنزل الله يا أيها المزمل إلي قولـه فـاهجرهم، ثـم حمـي الـوحي وتتابع"[1].

وبناءً عليه يكون المشكك في عقل النبي (ﷺ) هو الذي يـستحق أن يتـشكك الناس في عقله، وكيف ينشغل الرسول (ﷺ) بربه ويفقد عقله!!! أما لماذا؟ فلأن الله (ﷻ) حفظ عقل النبي وجعله مشغولاً بربه لا بغيره.

أورد الإمام السيوطي شبهاتهم فذكر أن "ما وقع للنبي (ﷺ) في ابتداء الوحي من خصائصه إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه جرى له عند ابتـداء الـوحي مثل ذلك، والحكمة فيه شغله عن الالتفات لشيء آخر، وإظهار الشدة والجد فـي الأمر تنبيها على ثقل القول الذي سيلقى إليه"[2]، وبناء عليه يكون فترة انقطـاع الوحي لصالح الرسول (ﷺ) لأنها لم تستمر، ومن ثم فهي دليل صدقه.

وعلي هذا النحو جرت أفكار علماء المسلمين الذين يفهمون مرامي الكتـاب والسنة لا المتشككين الذين لا يميزون بين التبر وأحجار الطـواحين، كمـا أن الإمام الماوردي ذكر أن النبوة لا تصح إلا ممن أرسله الله تعالي بوحيه إليـه، وذكر أن صحتها معتبرة بشروط ثلاثة تدل علي كمال عقله، وصدقه، ووجـوب طاعته[3].

---

(١) الإمام/ البخاري، صحيح البخاري، ج٢، تاب التفسير، ص٧٣٣.

(٢) الإمام/ السيوطي، الخصائص النبوية الكبرى، المجلد الأول، ص٢١٤.

(٣) رجاحة عقله (ﷺ) من المعلوم من الدين بالضرورة، إذ أن العـرب عرفـوه بالحكمـة، وحكموه فيما شجر بينهم قبل النبوة، ولو كان في عقله لا قدر الله شـيء ممـا شـكك المشككون لانصرفوا عنه، وتفرقوا من حوله وأشاعوا ذلك عنه كيف ذلك، وهم الـذين حكموه في وضع الحجر الأسود مكانه بعد بنائهم الكعبة المشرفة.

الشرط الأول: أن يكون مدعي النبوة علي صفات يجوز أن يكون مؤهلاً لهـا لصدق لهجنه، وظهور فضله، وكمال حاله، فإن اعتوره تفضل أو ظهـر منـه كذب لم يجز أن يؤهل للنبوة من عدم آلاتها وفقد أمانتها[1].

الشرط الثاني: إظهار معجز يدل علي صدقه، ويعجز البشر عن مثله، لتكون مضاهية للأفعال الإلهية، ليعلم أنها منه، فيصح بها دعـوي رسـالته؛ لأنـه لا يظهرها مِنْ كاذب عليه، ويكون المعجز دليلاً علي صدقه، وصدقه دليلاً علـي صحة نبوته[2].

الشرط الثالث: أن يقرن بالمعجز دعوي النبوة، فإن لـم يقتـرن بـالمعجزة دعوي لم يصر بظهور المعجزة دعوى؛ لأن المعجز يدل علي صدق الـدعوي فكان صفة لها، فلم يجز أن تثبت الصفة قبل وجود الموصوف[3].

وبناءً عليه فإن من تشكك في عقل النبي (ﷺ) أو صفة من صفاته التي جـاء ذكرها في القرآن الكريم تصريحاً أو تلميحاً، أو جاء ذكرها في السنة المطهـرة الصحيحة فإنما ينكر معلوماً من الدين بالضرورة الشرعية، ويحكم علي نفـسه بالخروج عن الدين الإلهي، ويقع في دائرة الحكم عليه الذي اختاره لنفسه.

---

(١) هذا الشرط متعلق بصفات النبي من سلامة العقل والفطانة، وما يترتب عليه في جميـع أحواله، وبالتالي فمن فقد شيئا مما ذكر لم يكن نبياً ولا مصطفي ؛ لأن الله تعالي ذكر أن الأنبياء والمرسلين هم من المصطفين الأخيار، قـال تعـالي: ﴿**وَإِنَّهُـمْ عِنْـدَنَا لَمِـنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ**﴾ سورة ص الآية(٤٧).

(٢) هذه الشرط قد جمع ما يتعلق بالفعل الخارق، وأن مصدره هو الله تعالي، ولا يجيء أبداً من فقد كمال العقل، وسلامة الوعي، وتمام الخلقة، كما لا يجيء مع الكذاب أبـداً؛ لأن سنة الله قد جرت بتصديق النبي الصادق، وتكذيب المدعي الكذاب.

(٣) العلامة أبو الحسن الماوردي، أعلام النبوة، ص٣١-٣٢، تعليق أ/ عبد الرحمن حـسن محمود، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

يقرر الإمام الغزالي أن المشكك في المعلوم من الدين بالضرورة "قد يخالف نصا متواترا، ويزعم أنه مؤول، ولكن ذكر تأويله لا انقداح له أصلا في اللسان لا علي بعده، ولا علي قرب، فذلك كفر، وصاحبه مكذب"(١).

لقد كانت غايتهم التشكيك في سيدنا محمد (ﷺ) اعتقاداً منهم أنهم إذا نالوها سقطت جوانبها، لكن أعياهم الطلب، وفشلوا في الوصول إلي ما أرادوا، وحفظ الله الإسلام ديناً ونبياً وكتاباً حتى تقوم الساعة، قال تعالي:**{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}**(٢).

يقول حمدي عبيد: أن "الحداثيين تجرؤا علي الله (ﷻ)، ورسله صلوات الله عليهم أجمعين، وعلي ما جاؤا به من عقيدة وشريعة، فمنهم من أعلن إلحاده، وأنكر ربوبية الله تعالي علي خلقه، حيث صرح بعضهم بأنه لا إبداع إلا مع نفي وجود الله، ولا نجاح إلا بعد التخلي عن رسالة محمد القرشي"(٣)، لقد صدق الله ورسوله وخاب هؤلاء المتشككون أينما كانوا وعلي أية جهة جاؤا.

ومن شكك في عقل الرسول (ﷺ) فقد أنكر معلوما من الدين بالضرورة فيخرج عن جماعة المسلمين، كما لا يحسب له شيء من عبادة أو صدقة أو دين، يقول الإمام الغزالي: "فمن كذبه بعد ما قرع سمعه علي التواتر خروجه، ومعجزاته الخارقة للعادة كسف القمر، وتسبيح الحصي، ونبع الماء من بين أصابعه، والقرآن المعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة فعجزوا عنه... فهو

---

(١) الإمام/ أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ص٦٦، قرأه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود بيجو.

(٢) سورة الصف الآية (٨).

(٣) د. حمدي عبيد، الحداثة، مجلة الراصد، ص٩، تحت عنوان الاستهزاء بالله ورسله، عدد ٧٢، ٢٠٠٩م.

الجاحد الكاذب، وهو الكافر"[1]، والله غالب علي أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٣- ظاهرة النسيان:

اعتقد هؤلاء أن الرسول (ﷺ) قد أصيب عقله بما يصاب به عقول غيره ألا وهو ظاهرة النسيان، واستدلوا عليها من عندياتهم بعملية النسخ، فإذا نسخ الله آية فمعني ذلك أن محمداً قد نسيها، وما دام قد نسيها فمن السهل جداً أن ينسي غيرها، والقاعدة أن من نسي القليل حتماً ينسي الكثير، وللأسف دائرة المعارف الإسلامية فيها من هذا كثير مما كُتب بأيدي المستشرقين[2]، وأعوانهم، ومن ينقلون عنهم.

وبناءً عليه فإذا كان الرسول (ﷺ) ينال عقله النسيان فمن المؤكد أن يتسلل ذلك إلي الوحي كله، ويستشهد الكاتب بما ألمحت إليه النصوص الشرعية قائلاً: "القرآن نفسه يعترف بعملية النسيان، كما يعترف بأن تغيرات وقعت في الوحي"[3]، وهو نوع من التضليل لا يستقيم علي ناحية بذاتها.

ثم يستشهد علي ما زعمه بقوله تعالي: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[4]، وقوله تعالي: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ**

---

(١) الإمام/ أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ص٦٨.

(٢) قام د. إبراهيم عوض بنقد هذه الدائرة في كتاب بعنوان دارة المعارف الاستشراقية أضاليل وأباطيل، ص١٤.

(٣) د. محمد السعيد جمال الدين، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية والبريطانية، ص٥٥٥.

(٤) سورة البقرة الآية (١٠٦).

لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ثم يدعي أن هناك في سورة الحج آيتين تعطيان تفسيراً آخر لتغيرات جرت في الوحي دالة علي عملية النسيان، وهي قوله تعالي: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾**[2].

من المؤكد أن دعوي النسيان إنما هي عملية تشكيك قصد بها شخص الرسول (ﷺ)، بحيث ينال من النبوة المباركة وعموم الرسالة، طريقهم في ذلك إذا كان الرسول (ﷺ) قد وقع له نسيان، وشهد به القرآن الكريم فمن المؤكد أن الذي نسي أكثر مما ذكر، أما لماذا؟

فلأن عملية النسيان إذا أصابت الفرد لا تقف عند حافة بذاتها، وإنما تتلمس طريقها إلي ما يأتي في العقل كله، والقاعدة أنه إذا أصيب شخص بالنسيان فمن المؤكد أن يصير عقله بعد فترة من الزمان صفحة فارغة ليس بها شيء ثابت، ولقد تولي بلاشير هذا الجانب مما دفعه أو اعتبره طريقاً إلي تقسيم القرآن الكريم إلي قسمين أحدهما أطلق عليه اسم القسم المهم، والآخر غير المهم[3].

لقد أخطأ هؤلاء جميعاً أما لماذا؟ فلأن النسيان ظاهرة إنسانية في غير الرسول (ﷺ)، وبالتالي فلا يمكن أبداً أن يقع نسيان للرسول فيما يتعلق بأحكام الوحي، يدل عليه ظاهر قوله تعالي: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾[4].

---

(١) سورة النمل الآية (١٠١).

(٢) سورة الحج الآيتان (٥٢-٥٣).

(٣) د. إسماعيل عبد العال، المستشرقون والقرآن، ص٢٤، مجلة دعوة الحق، العدد(١٢٠)، ١٩٩١م.

(٤) سورة الأعلى الآية (٦).

والله (ﷻ) بين أن الرسول (ﷺ) يمكن أن يقع له السهو فيما لا يتعلق بأحكام الدين، أما لماذا؟ فلأنه " لو كان الأمر متعلقاً بنسيان الرسول (ﷺ) كما زعم هؤلاء لما كانت هناك حاجة إلي الإتيان بآيات أخري، ولما كان هناك ناسخ ومنسوخ"(١).

ثم إن هذا كله بأمر الله (ﷻ)، وهو عليم بما يأمر، ومن ثم فالتشكيك في عقل الرسول (ﷺ) خطره كبير، وقد رد الله عليهم وأمثالهم بما يقطع هذا الفهم وتلك الشبهات عن الرسول (ﷺ)، فإذا قال الله جل شأنه: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(٢)، فمن المؤكد أن هذا كله من عند الله وأنه جل شأنه الذي يعلم ما يصلح للناس، وينزل من القرآن الكريم هذا علي ناحية لا مجال لبشر أن يقول فيها.

كما أن المستشرقين حينما نظروا إلي الآية الكريمة في قوله تعالي: ﴿**أَوْ نُنْسِهَا**﴾ فسروها علي أنها نسيان وهو قصد منهم، وكان المفروض أن من يتبع القرآن الكريم ينظر إلي الألفاظ المتشابهة في جذرها الصرفي فكلمة ننسي معناها نؤجل أو نؤخر، وكلمة ننسي معناها أن يقع له حذف أو نسيان، وهذا الذي قصدوه، دال علي سوء النية، والخروج عن المنهج المعتبر في الدراسات العلمية.

بدليل أن هؤلاء المشككين في عقل الرسول (ﷺ) قد أدخلوا آيات تتعلق بالنسخ، وفيها آيات لا علاقة لها بالنسخ، من ذلك أن الآيات من سورة الحج إذا نظرنا إليها وجدناها لا تشير إلي القرآن الكريم ولا تتعلق بمسألة النسخ؛ لأنها واردة في أمر غير الذي اجتذبوها إليه.

---

(١) د. محمد السعيد جمال الدين، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم، ص٥٥٦.

(٢) سورة البقرة الآية (١٠٦).

قال الشيخ الصابوني: وما أرسلنا رسولاً ولا نبياً فحدث نفسه بشيء[1]، وتمنى لأمته الهداية والإيمان إلا ألقى الشيطان الوساوس والعقبات في طريقه بتزيين الكفر لقومه وإلقائه في نفوسهم مخالفةً لأمر الرسول (ﷺ) وكأنَّ الآية تسلية للرسول (ﷺ) تقول له: لا تحزن يا محمد على معاداة قومك لك فهذه سنة المرسلين[2].

ومن هنا فإن عقل الرسول (ﷺ) لم يصب بشيء، ولم يقع له نسيان، فيما يتعلق بأحكام الشريعة وأصول العقيدة، وإذا وقع له شيء من سهو فإن الله تعالي ينبهه إليه وبناءً عليه تسقط مزاعمهم بهذا الشأن ويصح القول بأن ما ذكره هؤلاء المستشرقون دليل علي إدانتهم، وإعلان عن أمر يمارسونه قصداً بغرض النيل من النبوة المحمدية الرسالة العامة، ولن يتمكنوا بفضل الله تعالي.

٤- تدخل الشيطان:

زعم هؤلاء المستشرقون أن عقل الرسول (ﷺ) كان ميداناً يتردد عليه الشيطان وقتما يشاء، وأن هذا الشيطان كان له سلطان لا ينفصل عنه، ويستدلون عليه بقصص مختلقة أبرزها شيوعاً، الزعم بأن الشيطان كان يلقي

---

(١) حديث النفس من المسائل التي ترد علي جميع المخلوقين حتى الملائكة بدليل أنه سبحانه حينما قال: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة البقرة الآية(٣٠)]، ومن ثم فحديث النفس لا يقع أمره علي قلب النبي موقع التأثير، يدل عليه قوله (ﷺ): "إنه ليغان على قلبي، فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة". الإمام/ أحمد بن حنبل "مسند الإمام أحمد" ج٢٩ باب(حديث الأغر) ص٣٩١، رقم الحديث(١٧٨٤٨) المحقق: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١م.

(٢) الشيخ/ محمد علي الصابوني "صفوة التفاسير" المجلد الثاني، ص٢٦٩-٢٧٠.

في عقل النبي (ﷺ) ما يلقي إليه الوحي، أو يتدخل أثناء الوحي فيقع خلط للرسول (ﷺ) بين ما يأتي به الوحي، وما يأتي به الشيطان حتى إن كثيراً منهم اعتبروا تلك الحالة –تدخل الشيطان في الوحي– من المسائل التي لا يمكن تجاهلها، ويستدلون عليه بما يشبه أخبار الحالمين وأحلام المجانين، فيقولون "إن القرآن شهد بتدخل الشيطان في آيات منها قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾(١).

بيد أنهم ينتهون إلي القول بأن القرآن قد شهد بتدخل الشيطان تدخلا مباشراً في النص المنزل، وإذا كان الأمر كذلك وقد تدخل الشيطان في آية واحدة فمن المؤكد أنه تدخل في كل الآيات وإلا فما هو المسوغ أو الضابط الذي ينتهي إليه القول بأن هذه الآيات تدخل فيها الشيطان، وتلك الآيات لم يتدخل فيها الشيطان وبخاصة ما يزعمونه من وجود "إغلاق نهائي لمسألة إمكانية تخصص خاتم النبيين والمرسلين بمعجزة من جنس ما طلبت به قريش"(٢).

لقد فهم هؤلاء أن عملية تدخل الشيطان من المسائل التي إذا تكررت وعولجت تؤدي في النهاية إلي التشكيك في النبوة المباركة أو عمومها، وقد فاتهم أن هذا أمر عاش في أعماقهم ليس له ظل حقيقي، وإنما هو وهم نما في عقولهم وتمدد داخل وجداناتهم، وستبقي المسألة قائمة في الفهم الواعي بأن الشيطان لم يتدخل، ولو تدخل مرة لما أمكن وقوفه عندها.

---

(١) سورة الحج الآيتان (٥٢–٥٣).

(٢) محمد عابد الجابري، مدخل إلي القرآن الكريم، ج١، في التعريف بالقرآن ص١٨٨ مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.

وفوق ذلك فإن ما نص عليه العلماء المعتبرون هو أن الشيطان قد يتدخل في عقول إتباع النبي، بحيث يصرفهم عنه إذا تمكن من ذلك لا أن يتدخل في الوحي الذي جاء من عند الله؛ لأن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالي له، كما أن كل المسلمين يتمسكون بالقرآن الكريم، وهو عندهم الهدف الأسمى، كيف لا وقد ثبت بالنصوص الصحيحة أن فيه الهداية والشفاء لما في الصدور، قال تعالي: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾(1)، ومن ثم فلا يخص القرآن الكريم بإلقاء الشيطان ولا تدخله لأن ما يلقيه الشيطان للأتباع فقط.

ثم إن ما يلقيه إنما يصح بعيداً عن الرسول (ﷺ) بمراحل متنوعة، وإذا كان الرسول (ﷺ) سيترك نفسه للشيطان فكيف يرسله الله من صفوة الخلق، ثم يتركه للشيطان وهواه، وهذا مما يتنافى مع العصمة، كما يتنافى مع ما يجب للرسول (ﷺ) في جميع أحواله.

يدل عليه ما زعمه بلاشير من أن القرآن الكريم ألفه محمد وجمعه من مختلف المصادر زاعماً أن الشيطان أوحاها إليه، وأنه تحدث بها(2)، فكان دوره (ﷺ) دور من يجرى الشيطان علي لسانه أو ينوب عنه، ولست أدرى أين كان عقل بلا شير!، ألم يذكر سلفا أن سيدنا محمدا (ﷺ) لم يكن له وجود حقيقي، وأن العرب هم الذين صنعوا تلك الأسطورة المحمدية، ثم ها هو يعلن أن القرآن ألفه محمد وجمعه من مصادر متنوعة، فأين عقل هذا الرجل، وأين عقول من يستمعون إليه.

---

(1) سورة الإسراء الآية (٨٢).

(2) راجع د. أنس الصنهاجي "القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية الفرنسية مناولة بلاشير أنموذجاً" ص٤٦ ضمن حولية دراسات استشراقية العتبة العباسية المقدسة، السنة الثالثة، العدد (٨) ص٤٦، ١٤٢٧هـ/٢٠١٦م.

من المؤكد أن هذه الجوانب التي سعي إليها أصحابها حتى ينالوا من القــرآن والرسول (ﷺ) بغية التشكيك في النبوة وعموم الرسالة، وهذا من شأنه أن يلحق بأصحابه حكم الإنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

وإذا كانت مسألة تدخل الشيطان في عقل النبي تم إلغاؤهــا والحكــم علــي فسادها فقد تأكد الأمر الأول، وهو صحة دعوى النبوة وشــمول الرســول (ﷺ) بها، وبالتالي يترتب عليها أمر تمام الرسالة، وعمومها سواء بسواء.

ثالثا: التلقي عن الغير:

١ – المصدر الأعجمي:

ومعناه أن الرسول (ﷺ) قد استقبل ثقافات كثيرة من مصادر متعددة، بعضها راجع إلي المصدر الأعجمي، وبعضها إلي المصدر المسيحي، وبعضها ثقافــات لم يتم تحديدها[١].

هذه المسألة ذكرها أصحاب دائرة المعارف الإسلامية، كما نوه إليها أصحاب دائرة المعارف البريطانية، كأنها قاسم مشترك، ومعناها أن الرسول (ﷺ) كــان له معلم غير عربي، يأخذ عنه ويرجع إليه، وقد سبق لمشركي قريش هذا القول من أن رجلاً أعجمياً كان بين ظهرانيهم يبيع عند الصفا، وربما كان النبي (ﷺ) يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء وكانت أعجميته تنخرم ببعض الكلمات العربيــة التي عرفها هذا الأعجمي، وزعموا حينها أن هذا الأعجمي يعلم النبي (ﷺ) مــا ينزل إليه، فصور الله تعالي مقالتهم ورد عليهم بما يقطع تخرصاتهم، ويعــرف

---

(١) هذا الجانب من التشكيك صار مكرراً أما لماذا؟ فلأن أصنافهم كمستشرقين ومن يجــيء معهم من الحداثيين يكرونها ويكثرون من ذكرها ورغم ثبوت فسادها إلا أنهم ما زالــوا يكررونها لعلها تنال من الأغراض منالا.

باسم شاهد الحال[١]، قال تعالي: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[٢] فكيف يأخذ العربي المبين المشتمل علي البلاغة والإعجاز من الأعجمي الذي لا يتمكن من اللغة ومعرفة مفرداتها.

يقول الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ): ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم: إنما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، فكذّبهم الله تعالي في قيلهم كأنه يقول لهم: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لسان الذي تلحدون إليه، وتميلون نحوه بأنه يعلم محمدا أعجميّ، أو عبد روميّ، بينما القرآن لسان عربيّ مبين[٣].

لقد نبه الفخر الرازي إلي جانب غاية في الروعة، وهو أن هؤلاء دعواهم قائمة في أن القرآن الكريم من تعاليم حبر رومي، وشاهد الحال يبطل ذلك؛ لأن لسان الذي يزعمون أنه علم محمداً وينسبون إليه التعليم أعجمي، بينما القرآن الكريم عربي في غاية الفصاحة، فكيف يمكن لمن له لسان أعجمي، أن يعلم محمدا هذا الكتاب العربي المبين، بل ومن أين للأعجمي أن يذوق بلاغة هذا الكتاب المعجز في فصاحته وبيانه"[٤]، حتى يملي علي النبي مثله أو شيئا منه.

---

(١) شاهد الحال هو الذي يتولى الدفاع عن الحق، فلو كان الرسول (ﷺ) يأخذ عن الأعجمي فلماذا لم يكن القرآن الكريم أعجميا، ولماذا لم يؤلف الأعجمي قرآنا ينسب إليه ويفاخر به.

(٢) سورة النحل الآية (١٠٣).

(٣) الشيخ/ محمد بن جرير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٧، ص٢٩٨، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٤) الفخر الرازي "مفاتيح الغيب" المجلد ٢٠، ص١١٦.

وبهذا تبين أن عملية التشكيك التي يقولون بها ويسجلونها حديثاً في دوائر المعارف التي قد تحمل أسماء إسلامية أو غير إسلامية قد صنعت علي أيديهم وبعناية خاصة منهم، وتكرار ذكرها، كما لم يقدموا جديدا بشأنها، وأنهم الذين يعيدونها بصياغة جديدة يحسبونها جديدة، وما هي الا خرافات المرضي، وهوس المجانين.

ولا يخفي أن الكفار الذين نزل فيهم القرآن الكريم، وهو مستمر بإعجازه إلي يوم القيامة كانوا يعرفون قيمة إعجازه وتصف ألسنتهم الكذب، ويأتي الرد عليهم بأنه لو كان الرسول (ﷺ) تعلم هذا من الأعجمي لكان أولي بالأعجمي أن يظهره بنفسه، ويساهم في تحدي القرآن القائم علي الإنس والجن إلي يوم القيامة، وبالتالي فالزعم بأن شخصا آخر هو الذي علم سيدنا محمداً القرآن الكريم مشاركاً لجبريل أو مستقلاً إنما هي مزاعم كاذبة قصد بها التشكيك في أصل الرسالة، وانقضاء دعوى النبوة عموماً، وهم علي يقين من كذبهم، لكنهم يحرصون علي الكذب طالما يسمعون من غيرهم تقديساً لهم أو إعلاء لشأنهم(١).

وإذا كان التشكيك في نبوة سيدنا محمد (ﷺ) قد انصب علي عقله الشريف فترة من الفترات، وتولي الله تعالي الرد علي كل تشكيكاتهم، وجاءت آيات القرآن الكريم متحدثة عن ذلك كله، فما بال القوم سعوا إلي إعادة تلك الشبهات، ونالت منهم ذلك المنال، قال تعالي: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ**

---

(١) هذه المسائل مدلول عليها بما هو شائع في المؤلفات الاستشراقية داخل اطار الزمن منذ بعثة الرسول (ﷺ) إلي يومنا هذا، وستظل المسألة قائمة طالما بقي هؤلاء يستبيحون الكذب، ويضعون عناوين وهمية يخدعون بها من لا يعرف أغراضهم، وللأسف الشديد فإن الحداثيين اليوم من المستغربين يقاسمونهم هذه الشبهات ؛ لأنهم تربوا عليها، وصارت ثقافتهم التي يتنادون بها.

آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[١].

لقد فهم الكثيرون من المشككين في صفات الرسول (ﷺ) وبعثته أن ذلك قد يحقق غايتهم، يقول أصحاب دائرة المعارف الإسلامية " في الفترة المكية المتأخرة والمدنية المبكرة قيل إن محمداً قد تم تحديه لكي يخرج للناس كتاباً يمكنهم قراءته بأنفسهم، وأن أتباعه شكوا بأنه ليس لهم كتاب مقدس كاليهود والنصارى"[٢]، فأراد أن يجمع لهم كتابا يحمل أسمه، ويكون ميثاقا له.

أجل جاء الرد عليهم من فوق سبع سماوات قال تعالي: **{وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ}**[٣].

من المؤكد أن هذا الاتجاه من التشكيك في الدين الإسلامي بخصوص معجزة القرآن الكريم لا يجد له سندا يقف عليه أو دليلا يستند إليه، وإنما هي أوهام وأساطير ذهب إليها أصحابها حتى يتعلقوا بأذيال الفكر الأخر، بغرض النيل من عقيدة ختم النبوة واستمرارها.

ومن البين أن الآيات التي اعتمدوا عليها في سورة الإسراء هي مكية وليست مدنية ؛ لأن مدلول المدني له ضوابطه، والمكي له ضوابطه، وبناءً عليه يكون هؤلاء قد استخدموا منهجا أرادوا تطبيقه علي القرآن الكريم وتناسوا قاعدة

---

(١) سورة فصلت الآية (٤٤).

(٢) د. محمد السعيد جمال الدين، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية والبريطانية، ص٥٤٩.

(٣) سورة العنكبوت الآيات ٤٧-٤٩

الحفظ الإلهي له الواردة في قوله تعالي: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[١].

غير خاف ما يزعمه الحداثيون العرب من وصف القرآن الكريم بأنه "أسطورة، يموه ويعمي ويستر الحقائق، وهو مصدر دائم لليقينيات التي لا تستند إلي برهان؛ لأنه ينهي عن المساءلة والتفكير العقلاني[٢]، وهم كذبوا في كل ما زعموا، اذ كيف يكون مصدرا دائما لليقينيات التي لا تستند إلي برهان، والسؤال الآن أليس مصدر اليقين لابد أن يكون بدهيًا أو مستندا إلي بدهي مرده إلي برهان؟

من البين أنهم في سعيهم للتشكيك في القرآن الكريم ومصدره وآياته وأحكامه وفوائده وزعمهم أنه لا يقوم علي مصدر صحيح وبرهان سليم، فإنما هي سذاجة عقلية، وطفولة فكرية؛ لأن القرآن الكريم ثابت مصدره، وأنه من عند الله، وثابت ما فيه أنه قائم علي جهة التحدي، وصالح لكل زمان ومكان.

بل هو صالح أيضاً لكل إطار ميتافيزيقي، بدليل أنه يحرك الناس إليه، ثم لا يقف بعيدا عنهم، إنه يتحداهم ويقبل أن يقوموا بتحديه، فإذا لم يتمكنوا من تحديه فقد بان أنه الذي يتحداهم، وأنه الذي لا يقف عند فترة زمانية بذاتها، بل ممتد حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالي: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي**

---

(١) سورة الحجر الآية (٩).

(٢) زكي مصطفي محمد البشايرة وآخرين، دعوي تاريخية النص القرآني عند الحداثيين العرب، ص١٩١، مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية الأردن مجلد(٥) العدد(١) عام ٢٠١٨م.

وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(١).

صحيح أن هذا التحدي مستمر، وفي استمراره إعلان استمرار نبوة من بعث به، وبناءً عليه يثبت التحدي، واستمرار الأمور الثلاثة، وهي صدق نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وعموم رسالته، وختمها للنبوات والرسالات، يدل عليه أن الرسول (ﷺ) بشر بهذا كله.

أورد مسلم في صحيحه أن رسول الله (ﷺ) قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»(٢).

ودلالة الحديث ظاهرة في إثبات الأمور الثلاثة وهي نبوة سيدنا محمد، وعمومها، ثم ختمها لجميع الرسالات حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وبالتالي فالتشكيك فيها مرتد إلي أصحابه، لا إلي رسول الله (ﷺ).

بل الأغرب من هذا ما زعمه ابن كمونة اليهودي (ت٦٨٣هـ) بأن النبي- محمد (ﷺ) قد التقي رجلا انزل عليه القرآن قبل محمد ثم هجم محمد عليه وقتله، وأخذ منه القرآن الذي كان معه، وقد أورد ذلك ابن كمونه علي هيئة تساءل وهو "لما لا يجوز أن يكون القرآن أنزل إلي نبي آخر دعا محمدا أولا إلي دينه، وإلي هذا الكتاب فأخذه محمد منه وقتله"(٣)، وهو في كل ما زعم كاذب.

---

(١) سورة العنكبوت الآيات (٥٠-٥٢).

(٢) الإمام/ مسلم بن الحجاج "صحيح مسلم"، ج١، ص١٣٤، باب (وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد (ﷺ) رقم الحديث(١٥٢) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) ابن كمونة سعد بن منصور الإسرائيلي، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام، ص٧٠، دار الأنصار بالقاهرة.

والسؤال الآن من هذا النبي الذي عرفه ابن كمونة، ولم يعرفه أحد سواه؟ ثم ما هو الكتاب الذي كان بيده؟ ولم يقل أحد بأن هناك رجلا أو كتابا أو غير ذلك؟ إنها خرافات أصحابها.

ثم إن المصطفي (ﷺ) كان القرآن في قلبه وسلوكه وأخلاقه، كان خلقه القرآن، وكان قرآنا يمشي بين الناس، بينما الذي يزعمه ابن كمونة هو كلام مكتوب، وهل كان هذا النبي القتيل علي زعمه يعرف العربية؟ أم كان الكتاب الذي بين يديه بغير العربية، وكيف يعرفه الرسول(ﷺ)[١]، أنها أحلام النائمين، وأوهام الغافلين.

٢- التلقي من المصدر اليهودي[٢]:

تذهب دائرة المعارف الإسلامية إلي أن هناك سوراً مدنية تعطي انطباعا بأن محمدا (ﷺ) جهد في الحصول علي معلومات من الكتاب المقدس عند اليهود، حيث جري اتهامهم بأنهم يخفون كتابهم عنه، وقد عرضت بعض النسخ المكتوبة علي محمد وأتباعه[٣]، فأخذوا منها ما صار جزءا من تراثهم الإسلامي.

---

(١) كثير من التشكيكات الحديثة والمعاصرة مصدرها الأصلي ابن كمونة ومؤلفاته، ومن يطالع كتابه تنقيح الأبحاث الثلاث، يجد إمكانية رد المزاعم في وجه أصحابها، وإلي ما كتبه ابن كمونة.

(٢) المراد بالمصدر اليهودي الكتاب المقدس، والدراسات التي تمت حوله عند نزول القرآن الكريم، ثم يمتد إلي ما اعتمده اليهود بعد بعثة الرسول (ﷺ)، فيدخل فيه كل من التلمود البروتوكولات، وغيرها مما يمثل الثقافة اليهودية.

(٣) د. محمد السعيد جمال الدين، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية والبريطانية، ص٥٤٥.

ويستدل صاحب هذا التشكيك بقوله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾(١).

من البين أن هذا التلفيق لما كتبه أهل العلم واستقروا عليه، وبخاصة أن السور المكية والسور المدنية لها سماتها العامة، ثم خصائصها المشتركة؛ ولأن التلفيق سمة هؤلاء فقد بان أن تشكيكهم لا يقوم إلا علي الخيال الكاذب، ودليلنا أن سورة الأنعام التي زعم الملفق أنها مدنية ليست كذلك، وإنما هي مكية بإجماع الآراء التي انفرد بها علماء المسلمين حول ناحية البحث عن المكي والمدني، فإذا كانت السورة مكية بإجماع الآراء وعدد آياتها (١٦٥) آية، وترتيبها في المصحف السادسة فما بال المشككين في أصول العقيدة يتجاهلون هذا كله.

يقرر الشيخ الصابوني أن "سورة الأنعام إحدى السور المكية الطويلة التي يدور محورها حول العقيدة، وأصول الإيمان، وهي تختلف في أهدافها ومقاصدها عن السور المدنية، بدليل أنها لم تعرض لشيء من الأحكام التنظيمية لجماعة المسلمين، وإنما تناولت القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان"(٢).

وإذا كان المشككون لا يعرفون الفرق بين السور المدنية والأخرى المكية فإذا ذهبوا إلي القول بأن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالي علي قلب سيدنا محمد (ﷺ) وجري علي لسانه (ﷺ) قد حصل علي معلومات من الكتاب المقدس

---

(١) سورة الأنعام الآية (٩١).

(٢) الشيخ/ محمد علي الصابوني "صفوة التفاسير" المجلد الأول، ص٣٤٨.

عند اليهود ألا يدل ذلك علي جهلهم وتشكيكهم بل في هذا دليل علي أن القــرآن الكريم شاهد لنفســه بأنـــه متفــرد، وأنـــه كـــلام الله تعـــالي، وشـــاهد للنبـــي المصطفي (ﷺ) بأن مصدره هو الله ولم يستفد شيئاً من ثقافات الآخرين.

ثم إن المنهج الذي اعتمده هؤلاء المشككون في أن النبي (ﷺ) بذل جهده في الحصول علي معلومات من التوراة دون أن يستند زعمهم إلي مـــصدر يمكـــن التعويل عليه، ألا يعتبر حذف المصدر وعجز أصحاب دائرة المعـــارف عـــن ذكره من الشواهد علي الخبر الكذوب، وأبسطها أنه لا سند له(١)، فهـــل يـــدرك هؤلاء نوع الخيانة العلمية والأخلاقية التي يقعون فيها.

من الواجب القول بأن أصحاب دائرة المعارف الإسلامية في زعمهم وجـــود المصدر اليهودي داخل القرآن الكريم، وجعلهم إياه أداتهم للطعن في نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وعمومها وختمها إنما تبدو صنعته في أمرين :

أحدهما: التدليس به علي الناس وهو آفة وعمل منكر يقوم به خصوم الدعوة الإسلامية، ومن يجري مجراهم، كما يلتزمه أصحاب التشكيك في أصول العقيدة الإسلامية حتى يوغروا صـــدور غيـــرهم فـــي إنكـــار المعلـــوم مـــن الـــدين بالضرورة(٢)، وهم بذلك أضافوا إلي التدليس التلبيس، وكلاهما فيه المذلة.

---

(١) فكرة التخلص من المصدر الموثق لا تقدم فكراً يعتمد عليه بقدر ما تدل علـــي ســـذاجة المستدل به، وفوق ذلك تنبئ عن التدليس، ثم تزيح من طريقها المسوح الزائفة من العلم والدراسة النقدية، التي تدل علي الكذب الفاجر، والنتائج الواقعة بـــين يـــدي أصـــحابها، شاهدة علي فساد عقولهم، وسواد قلوبهم.

(٢)غاية هؤلاء واضحة ومنهجهم في التدليس مستمر، وطبيعتهم لا تقف عنـــد حـــد بذاتـــه، والأدلة عليهم قائمة، بل إن القرآن الكريم حكي عنهم قديماً وجاءت حكايته كحديث مـــن أحاديث الغيب تنطبق علي من سيأتي، قال تعالي : ﴿**قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِـــهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَـــمْ**=

ثانيهما: الافتراء علي الدين، والنبي محمد (ﷺ) إذ أن المشكك في نبوة سينا محمد (ﷺ) ومصدره الإلهي يستشهد بمواضع آيات قرآنية يشير إليها دون أن يذكرها حتى يوهم القارئ له "بأنه إنما يتقدم بخطة علميه موثقة نحو الحقيقة التي اطمأن إليها، مع أن النتيجة التي سعوا إليها لا تتصل بالمقدمة من قريب أو بعيد"(١).

من المؤكد أن هذا التشكيك قائم علي خطة منهجية، لكنها جدلية لا تعتمد علي قواعد صحيحة، وهو المعني بعبارة الافتراء علي الله، والكذب علي الدين، وهم يكتمون شهادة الحق، والله تعالي قال: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(٢)، وقال جل شأنه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(٣)، وقال (ﷻ): ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(٤).

ثم يشهد القرآن الكريم نفسه علي اليهود وغيرهم بأنهم دلسوا وافتروا وجحدوا، ولم يكونوا علي هدي، وشككوا في نبوة سيدنا محمد وعمومها وختمها

=**تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [سورة الأنعام الآية(٩١)]، فجاء الرد مبيناً منهجهم، ومكذباً غايتهم، ومؤكداً سوء نواياهم؛ لأنهم أنكروا نبوة سيدنا محمد، وأنكروا المصدر الإلهي، فجاء الرد عليهم من جنس ما بأيديهم. راجع للإمام/ القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" ج٧، ص٣٧.

(١) د. محمد السعيد جمال الدين، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية والبريطانية، ص٥٤٥.

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٠).

(٣) سورة البقرة الآية (١٧٤).

(٤) سورة آل عمران الآية (٧١).

مع أنه الحق الذي جاء به وقد خاطبهم بأهل الكتاب في المعنـــي العـــام، حتـــى يكون الخطاب دليلاً عليهم، وقائماً في مواجهتهم، قال تعالي: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَـدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾[1].

قال العلامة ابن جزي: في الآية دليل علي صحة نبوته (ﷺ) وشـــهادة علـــي صدقه في أنه مرسل من عند الله تعالي حيث بين ما أخفوه في كتابهم، وهو أمي لم يقرأ كتبهم[2]، وهذا في حد ذاته كاشف عن عداوتهم لله ورسوله وكتابه.

بناء علي ما سلف يصح القول بأن زعم أخذ الرسول (ﷺ) من الكتب السابقة أو اعتماده علي غير الوحي الإلهي دعاوي كاذبة وتشكيكات لا مكان لها، وخروج علي مقتضي المنهج العلمي، ومثلهم لا يلتفت عاقل إليهم.

أخلص مما سلف إلي أن التشكيك في المصدر القرآنـــي حجـــة الله البالغـــة ومعجزة الرسول الخالدة يمثل إنكارا للمعلوم من الدين بالـــضرورة، وتجـــاهلاً للأصول الثابتة إلي غير ذلك من الوجوه التي يعتمد عليها البحث العلمي.

٣- شبهة المصدر الأساطيري:

ومعناه أن القرآن الكريم قد استفاد سوراً وقصـــصا بأكملهـــا مـــن أســـاطير متنوعة وصارت جزءا من القرآن نفسه، فإذا سلمنا بهذا جدلاً انتهت قـــراءتهم إلي التشكيك في القرآن الكريم، والتشكيك في نبوة سيدنا محمد (ﷺ)، وقد تـــولي الحداثيون كبرهم، فأخذوا من ابن كمونة وغيره ما أخذوا، وأكدوا علي ذلك في المؤلفات التي حملت أسماءهم[3].

---

(١) سورة المائدة الآية (١٥).

(٢) العلامة ابن جزي "التسهيل" ج١، ص١٧٢.

(٣) مما يؤسف له أن الكثيرين منهم يحملون اسماء اسلامية منها، محمـــد أركـــون وهاشـــم صالح، وأمنة ودود، إلي غير ذلك مما طفحت به المؤلفات الطاعنة علي عقيدة النبـــوة=

يذكر محمد أركون أن سورة الكهف تشكل مثلاً ساطعاً علي ظاهرة التداخلية النصانية التي تعني أن نص القرآن قد تأثر بالعديد من النصوص السابقة له ومنها النص التوراتي، والنص الإنجيلي، وحتى ما قبل التوراة والإنجيل ويستوعبها القرآن حتى تصير جزءا منه، ولا يعني هذا التقليد، وإنما يعني التفاعل والاستيعاب والدمج المبدع الخلاق ... وهذه الظاهرة التداخلية النصانية الواسعة يطلق عليها أركون(الشغالة في الخطاب القرآني) غايته التأكيد علي أن تلك الأسطورة مستمرة في الخطاب القرآني، ومدونة بين سطور المصاحف التي يتعبد المسلمون بها لرب العالمين، ويستشهد بذلك علي أن دعوي النبوة وعمومها عن طريق القرآن الكريم يجب أن تسقط من الحسبان[١]، وهو كاذب في كل ما زعم.

يقول أركون: هناك ثلاث قصص في سورة الكهف تدل كلها علي أن القرآن قد استفاد من الأساطير، وتلك الأساطير الثلاثة هي أسطورة قصة أهل الكهف المسيحية، وأسطورة ملحمة جلجاميش الآشورية، ثم أسطورة الإسكندر الكبير الإغريقية، وينتهي إلي أن جميعها تحيلنا إلي المخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم، وهي جميعها ممزوجة أو متداخلة في سورة واحدة من سور القرآن، وأعني بها سورة الكهف لكي تدعم وتجسد نقل الشيء ذاته[٢].

=المباركة بالنبي محمد (ﷺ). راجع لمحمد أركون "مدخل إلي القرآن الكريم" مركز دراسات الوحدة العربية، حيث افتعل نماذج وكررها واعتبرها أساساً سعي إليه.

(١) راجع لمحمد أركون، مدخل إلي القرآن، ص٥٧.

(٢) محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلي تحليل الخطاب الديني، ص٤٠-٤١، ترجمة هاشم صالح، ط١، دار الطليعة ٢٠٠١م بيروت

فإذا خلص من ذلك اعتبر أن المصدر الذي يعتمد عليه في إثبات نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وعمومها حتى يقوم الناس لله رب العالمين قد سقط، وإذا سقط الدليل سقط معه المدلول وهو ما لم يتحقق، ولن يتحقق إن شاء الله تعالي.

أجل إن هذا التشكيك الذي سيطر علي أصحاب القول به حديثاً قد سبق إلي القول به أجدادهم حين نزول القرآن، وقد تعقبهم القرآن الكريم وناقشهم، وأبطل أقوالهم، وبين فسادها في آيات واضحة الدلالة، ووصف سابقيهم كما وصف أقوالهم، قال تعالي: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [1].

من البين أن الله (ﷻ) ابتدأ تلك السورة الكريمة بالحديث عن القرآن الكريم، وقد تفنن المشركون في إقحام وجوه الطعن عليه، والتكذيب بآياته، والتشكيك في كل ما جاء به، فزعموا أنه أساطير الأولين، كما زعموا أنه من اختلاق النبي (ﷺ) ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ**﴾ وزعموا أنه سحر مبين، فتولي الله تعالي الرد علي تلك الوجوه من التشكيك، وأتي عليها جميعاً، يدل عليه أمور:

الأول: وصف القرآن الكريم لأصحاب القول بالإفك والأساطير بأنهم كافرون قديماً ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، ومن يحمل تلك الشبهة ويكرر ذلك التشكيك فقد وصف نفسه بما وصف به من قبل[2]، كأنهم هم الذين عرفوا بأنفسهم من غير حاجة إلي من يكشف أمرهم.

---

(١) سورة الفرقان الآيات (٤-٦).

(٢) هذه الأحكام لا تنفصل عن أصحابها، والعبرة قائمة في عموم اللفظ لا بخصوص السبب، وبالتالي فكل من نسب القرآن الكريم إلي غير الوحي الإلهي وقع في دائرة الحكم عليه بأنه من جماعة الكافرين بغض النظر عن الزمان والمكان لأن أقوالهم هي التي تشهد عليهم.

الثاني: ما جري علي ألسنتهم من وصف القرآن الكريم بأنه إفك وكذب وأساطير افتراها الرسول (ﷺ) من عند نفسه، ثم عرضها علي قومه، وأعانه علي نشرها آخرون رأوا في إذاعتها ونشرها ما يعينهم علي التشكيك في نبوة سيدنا محمد (ﷺ)، والتشكيك في عموم رسالته، ووصف القرآن الكريم هذا القول منهم بوصفين أحدهما: الظلم، والثاني الزور ﴿**فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا**﴾.

الثالث: الزعم بأنها أساطير الأولين تعلم الرسول (ﷺ) كتابتها، واستملاءها من غيره صباحاً ومساءً حتى أتقنها وصار قديراً بها، قال تعالي: ﴿ **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾[1].

ذكر العلامة أبو حيان في معني الآية الكريمة، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها في القرآن مع أنها خرافات الأمم السابقة، أمرهم أن تكتب إليه، فهي تلقي إليه، وتقرأ عليه، ليحفظها صباحاً ومساءً[2].

لقد رد القرآن الكريم عليهم فأبطل شبهاتهم، كما قضي علي تشكيكهم، وبين أن الذي أنزله هو الذي يعلم السر وأخفي قال تعالي:﴿ **قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾[3]، والمعني أن القرآن الكريم حق كله نزل من عند الله تعالي كله، ليس فيه شيء من الأساطير أو غيرها وإنما أنزله الله العليم القدير الذي لا يخفي عليه شيء في السماوات والأرض.

وإن كنت تطلب عجبا تحيل إليه ما ذكره المشككون بجانب ما سبق فهذا قول بروكلمان "ترجع معتقدات محمد فيما يتعلق بالعالم الآخر إلي مصادر يهودية

---

(١) سورة الفرقان الآية (٥).

(٢) راجع لأبي حيان، البحر المحيط، ج٦، ص٣٨١، ونقل عن ابن عباس أن القائل هو النضر بن الحارث وأتباعه والإفك اسوء الكذب.

(٣) سورة الفرقان الآية (٦).

وهكذا تصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة"(١)، فهل رأيت سذاجة أكثر من ذلك؟

ويذكر جولد زيهير كلاما يتسم بالعدوانية المباشرة لكل ما هو إسلامي، فيقول: "بعض الآراء المتصلة بالإيمان بالجن وتأثيرهم في أعمال المجتمع الإنساني أخذها الإسلام من الجاهلية السابقة"(٢)، ويسعي للتشكيك في كل ما هو إسلامي زاعما أنها أفكار لا تنبت في البيئة الإسلامية من ذلك قوله "أقدم مؤلفات الزهد في الإسلام تحوي شواهد كثيرة منتحلة من أسفار العهد الجديد"(٣)، والرجل لم يكلف نفسه الاعتراف بالحقيقة وأن الزهد الإسلامي مصدره الكتاب والسنة، ومن ثم فالرجل أوغل في الكذب.

سوف أضع نصب عينيك عبارة محمد الجابري لتري بنفسك كيف ينظر هؤلاء إلي دين الإسلام، وأين يضعون التراث والفكر الإسلامي، يقول الجابري: "ورثت الثقافة العربية الإسلامية كل علوم المعقول واللامعقول في الثقافات القديمة"(٤).

يقيني بالله تعالي أن دين الإسلام الذي ارتضاه الله للعالمين سوف يبقي أبد الدهر، وأن ما يزعمه الآخرون لن يستمر طويلا فذلك سنة إلهية قال تعالي: **{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}**، والله غالب علي أمره، ولكني أكثر الناس لا يعلمون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٧١، ترجمة نبيه فارس، وزميله، دار العلم للملايين.

(٢) جولد زيهير، مذاهب التفسير الإسلامي، ص١٦٥، ترجمة عبد الحليم النجار، دار أقرأ، ط٢، ١٩٨٣م.

(٣) جولد زيهير، العقيدة والشريعة، ص١٣٢، ترجمة محمد يوسف موسي وآخرين، ط١، دار الكتاب المصري، ١٩٤٦م.

(٤) محمد عابد الجابري، نحن والتراث، ص٣٠٤، ط٦، المركز الثقافي العربي ١٩٩٣م.



من المستقر في الدراسات العلمية أن تكون لها مقدمات، ثم أواسط– موضوعات – وأخيرا خواتيم، وجريا علي هذا المستقر قد ذكرت المقدمة والموضوعات، ومن ثم فالمناسب أن تجيء الخاتمة مشتملة علي ما يلي:

أولا: أهم النتائج:

١– أن وضع الضوابط للبحث تكون بمثابة الأسس التي يقوم بها، ومن ثم كان اهتمامي بتحديد المفاهيم، وتحرير المصطلحات، من حيث إن من يقرأ تلك المصطلحات يمكنه معرفة المنهج الذي أستخدمه، وما يمكن أن يدور في ثنايا البحث.

٢– وضع إطار معرفي ثابت لما يمكن أن يقع فيه من التشابه الاستعمالي، وذلك يمثل نتيجة توصيفية فارقة بين الموضوع الأصلي، وغيره من الجوانب الفرعية.

٣– بيان أن التشكيك المشروع هو طريق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، من حيث إنهم يقررون أممهم بأخطائهم في اعتقاد ألهتهم لأنها تفتقد الأصول العامة والأسس الذاتية ومن ثم فلا يصح فيها اعتقاد ولا تسلم لها عبادة.

٤– أن خطر التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة يترتب عليه في مجال الإلهيات ما يلي :

(أ) إنكار وجود الله تعالي، وهو الإلحاد بأنواعه المختلفة.

(ب) الطعن فيما أنزل الله تعالي، والتخلي عنه، وهو كفر مبين.

(ج) الخروج من دائرة الإقرار بالغيبيات، ومنها الملائكة، والكتب، واليوم الأخر.

(د) الابتعاد عن شرع الله والوقوع بين أحضان الشهوات والرذائل طالما لا يعتقد الفاعل وجود إله له صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام.

(٥) يترتب علي إنكار المعلوم من الدين بالضرورة في مجال النبوات.

(أ) الطعن في النبوات، واعتبار الأنبياء من قبيل السحرة والكهان والمنجمين.

(ب) استنزال الأنبياء من مجال العصمة التي جعلها الله تعالي، ومن ثم نسبة الموبقات والمهلكات إليهم.

(ج) التخلص من سيطرتهم علي النفوس، من حيث أن كل نبي يدعي وليس له تأييد سماوي.

٦- أن خطر التشكيك في المعلوم من الدين بالضرورة يترتب عليه في الحياة الاجتماعية ما يلي:

(أ) إيقاع الفتنة بين أفراد المجتمع، لأن إنكار المعلوم من الدين بالضرورة سيحدث تصادما بين أفراد المجتمع.

(ب) استباحة الأعراض المحرمة، والأموال التي تخص الغير، والدماء، نظراً لفتح باب التنازع في الثوابت.

(ج) اتساع مساحة الانحراف الأخلاقي في أفراد المجتمع، مادامت لا توجد قواعد حاكمة وأهمها المعلوم من الدين بالضرورة.

(د) إتاحة الفرصة لمجهولي الثقافة في الطعن علي الثوابت واعتبار أرائهم المريضة حقائق علميه أو ثوابت يجب الأخذ بها.

ثانيا: أهم التوصيات:

١- ضرورة تدريس مادة علمية تحت مسمي المعلوم من المعلوم من الدين بالضرورة حتى يعرف الناس ما يصح فيه الاجتهاد، وما لا يصح فيه، ومن هو المجتهد، ومن الذي يدعي الاجتهاد.

٢- الاهتمام بمادة أصول الفقه، وتوظيفها لخدمة العقيدة الإسلامية فذلك يمثل حائط صد في مواجهة ذوي العقول التي لا تميز بين المفاهيم، ولا تعرف أي المجالات الدينية يكون سعيها فيه هو حظها.

٣- ضرورة الاهتمام بالنشء، والتركيز علي تدريس المواد الأصولية من خلال صياغات تناسب عقولهم، ومستوياتهم حتى يصير للثوابت مكان مستقر في قلوبهم وعقولهم.

٤- مواجهة عمليات الانحراف الفكري، والعقدي، والفني، بكتابات ذات ثقل علمي، وتوظيفها لخدمة قضايا العقيدة الإسلامية، بمعني أن يقع التلاقي بين الفكر المتزن القائم علي الكتاب والسنة، والواقع المعاش، فليس من العدل أن يظل الناصحون في ثوبهم النظري، بينما الواقع يحتاجهم حتى يطبقوا أفكارهم فيه.

٥- التركيز علي الثوابت الأصلية التي لا تقبل نصوصها التأويل، أو التفسير أو إبداء وجهات النظر لأنها قطعية في ورودها، قطعية في دلالتها، والقاعدة أنه لا اجتهاد مع النص.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

المصادر و المراجع

اكتفيت بذكر اسم المؤلف، واسم الكتاب، حيث أن باقي البيانات مذكورة في هوامش الصفحات تخفيفا علي جريدة المصادر.

١- ابن حنبل – الإمام/ أبو عبد الله أحمد بن محمد "مسند الإمام/ أحمد".
٢- ابن كمونة – سعد بن منصور اليهودي "تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام".
٣- أبو السعود – القاضي: محمد بن محمد مصطفي "إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم".
٤- أبوحطب – د/ فؤاد أبو حطب "القدرات العقلية".
٥- ابوحيان – العلامة: محمد بن يوسف "البحر المحيط".
٦- أركون – محمد أركون "القرآن من التفسير الموروث إلي تحليل الخطاب الديني".
٧- أركون – محمد أركون "مدخل إلي القرآن الكريم".
٨- الأشعري – أبو الحسن الأشعري "الإبانة عن أصول الديانة".
٩- الأصفهاني – أبو القاسم الحسين بن محمد "المفردات في غريب القرآن".
١٠- الألوسي – العلامة: أبو الثناء "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".
١١- الأنصاري – الشيخ/ زكريا بن محمد "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن".
١٢- الإيجي – الإمام/ عضد الدين الإيجي "المواقف".
١٣- الباقلاني – العلامة: أبو بكر الباقلاني "الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به".

١٤- البخاري – الإمام/ أبو عبدالله بن إسماعيل "الجامع الصحيح".
١٥- بروكلمان – كارل بروكلمان، "تاريخ الشعوب الإسلامية".
١٦- البشايرة – زكي مصطفي محمد "دعوي تاريخية النص القرآني عند الحداثيين العرب".
١٧- البغوي – الإمام/ الحسين بن مسعود بن محمد البغوي "شرح السنة".
١٨- البياضي – القاضي: كمال الدين البياضي "إشارات المرام من عبارات الإمام".
١٩- البيجرمي – العلامة: سليمان بن محمد "التجريد لنفع العبيد، حاشية البيجرمي علي شرح المنهج".
٢٠- البيهقي – أحمد بن الحسين "الاعتقاد علي مذهب السلف أهل السنة والجماعة".
٢١- الترمذي – الإمام/ أبو عيسي الترمذي "سنن الترمذي".
٢٢- التفتازاني – الإمام/ سعد الدين التفتازاني "شرح العقائد النسفية".
٢٣- التفتازاني – السعد التفتازاني "شرح المقاصد".
٢٤- الجابري – محمد عابد " مدخل إلي القرآن الكريم".
٢٥- الجابري – محمد عابد الجابري "نحن والتراث".
٢٦- الجرجاني – السيد الشريف الجرجاني "التعريفات".
٢٧- الجرجاني – السيد الشريف الجرجاني "شرح المواقف".
٢٨- الجرداني – الشيخ/ محمد عبد الله "الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية".
٢٩- جزي – العلامة: محمد بن أحمد بن يحي "التسهيل لعلوم التنزيل".
٣٠- جمال الدين – د/ محمد السعيد "الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية والبريطانية".

٣١- الجوزي – الإمام/ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي "الأذكياء".
٣٢- الجوهري – العلامة: إسماعيل الجوهري "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية".
٣٣- الجويني – إمام الحرمين/ أبو المعالي الجويني "البرهان في أصول الفقه".
٣٤- الجويني – إمام الحرمين/ أبو المعالي الجويني "لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة".
٣٥- الخادمي – الشيخ/ نور الدين "المقاصد في المذهب المالكي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين".
٣٦- الخضري – الشيخ/ محمد الخضري بك "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين"
٣٧- الدسوقي – الشيخ/ محمد بن أحمد بن عرفة "حاشية علي شرح أم البراهين".
٣٨- الدمشقي – محمد أمين بن عابدين الدمشقي "رد المحتار علي الدر المختار".
٣٩- دُوزي – رينهارت بيتر آن دُوزي "تكملة المعاجم العربية".
٤٠- الرازي – العلامة: الفخر الرازي "أسرار التنزيل وأنوار التأويل".
٤١- الرازي – العلامة: الفخر الرازي "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين".
٤٢- الرازي – الفخر الرازي "مفاتيح الغيب".
٤٣- الرازي – فخر الدين الرازي "الأربعين في أصول الدين".
٤٤- رشد – أبو الوليد بن رشد "تلخيص كتاب النفس".
٤٥- الزركشي – العلامة: أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي "البرهان في علوم القرآن".
٤٦- الزمخشري – الإمام/ الزمخشري "الكشاف".

٤٧- الزمخشري – العلامة: أبو القاسم محمود بن علي الزمخشري "أساس البلاغة".
٤٨- زيادة – د/ محمود محمد زيادة "العرب وظهور الإسلام".
٤٩- زيهير – جولد زيهير "العقيد والشريعة".
٥٠- زيهير – جولد زيهير "مذاهب التفسير الإسلامي".
٥١- السبتي – الإمام/ ابن خمير "مقدمات المراشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين".
٥٢- سلامة – محمد السيد سلامة "الفكر الاستشراقي وخطورته".
٥٣- السيالكوتي – الشيخ/ عبد الحكيم السيالكوتى "حاشية عبد الحكيم علي شرح المواقف".
٥٤- السيوطي – الإمام جلال الدين " الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية".
٥٥- السيوطي – الإمام/ جلال الدين عبد الرحمن "الخصائص النبوية الكبرى".
٥٦- الشاطبي – الإمام/ إبراهيم بن موسي بن محمود الشاطبي "الاعتصام".
٥٧- الشرقاوي – الشيخ/ عبدالله الشرقاوي "حاشية الشرقاوي علي الهدهدي".
٥٨- الشهرستاني – الإمام/ أبو الفتح "نهاية الإقدام في علم الكلام".
٥٩- الصابوني – الشيخ الإمام/ محمد نور الدين الصابوني "الكفاية في الهداية".
٦٠- الصابوني – الشيخ/ محمد علي الصابوني "صفوة التفاسير".
٦١- الصاوي – الشيخ/ أحمد بن محمد المالكي الصاوي "شرح الصاوي علي جوهرة التوحيد".
٦٢- الصنهاجي – د/أنس الصنهاجي "القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية الفرنسية مناولة بلاشير أنموذجاً"

٦٣- الطبري – الإمام/ أبو جعفر "جامع البيان عن تأويل آي القرآن".
٦٤- طرابيشي - جورج طرابيشي "المعجزة أو سبات العقل، أو نبي بلا معجزة".
٦٥- عاشور – الشيخ/ محمد الطاهر ابن عاشور "مقاصد الشريعة الإسلامية".
٦٦- عبد الباقي- أ/ محمد فؤاد عبد الباقي "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم".
٦٧- عبد الجبار – القاضي: عبد الجبار بن أحمد "شرح الأصول الخمسة".
٦٨- عبد الحميد - د/ أحمد مختار عبد الحميد "معجم اللغة العربية المعاصرة".
٦٩- عبد السلام – الشيخ/ العز بن عبد السلام "قواعد الأحكام في مصالح الأحكام".
٧٠- عبد العال – د/إسماعيل عبد العال "المستشرقون والقرآن".
٧١- عبيد - د. حمدي عبيد "الحداثة".
٧٢- العربي – العلامة: أبو بكر بن العربي" أحكام القرآن".
٧٣- العربي – العلامة: القاضي الفقيه/ أبو بكر بن محمد "العواصم من القواصم".
٧٤- العسقلاني – الإمام/ أحمد بن محمد ابن حجر" فتح الباري".
٧٥- عوض - د/ إبراهيم عوض "دارة المعارف الاستشراقية أضاليل وأباطيل".
٧٦- الغزالي – الإمام/ أبو حامد "فضائح الباطنية".
٧٧- الغزالي – الإمام/ أبو حامد "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة".
٧٨- الفيروزآبادي – العلامة: أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي "القاموس المحيط".

٧٩- الفيومي – العلامة: أحمد بن محمد بن علي الفيومي "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير".
٨٠- القرافي – العلامة: شهاب الدين أحمد بن "نفائس الأصول في شرح المحصول".
٨١- القرطبي – الإمام/ أبو أحمد "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته السنة وآي الفرقان".
٨٢- القشيري – العلامة: عبد الكريم بن هوزان "لطائف الاشارات".
٨٣- مالك – الإمام/ أبو عبدالله مالك بن أنس "موطأ مالك برواية يحيي الليثي".
٨٤- الماوردي – العلامة: أبو الحسن البصري "أعلام النبوة".
٨٥- المباركفوري – الشيخ/ صفي الرحمن "الرحيق المختوم".
٨٦- مسلم – الإمام/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج "صحيح مسلم".
٨٧- المطعني – د/عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني "افتراءات المستشرقين علي الإسلام".
٨٨- الملاحمي – ركن الدين محمود الملاحمي "المعتمد في أصول الدين".
٨٩- مندور – د/ محمد مندور "في الميزان الجديد"
٩٠- منظور – محمد بن مكرم بن علي "لسان العرب".
٩١- النحاس – العلامة: أبو جعفر النحاس "إعراب القرآن".
٩٢- النسفي – أبو البركات عبد الله "مدارك التنزيل وحقائق التأويل".
٩٣- الهروي – العلامة: محمد بن أحمد الأزهري الهروي "تهذيب اللغة".
٩٤- الهيتمي – العلامة: أحمد بن محمد بن علي بن حجر "الفتاوي الحديثية".

فهرس الموضوعات



